قراءاتٌ في قَصَصِ الأنْبياءِ عليهم السلام

قِرَاءَةٌ في سُوْرَةِ «يُوسُفَ» عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

العصمة

الجزء الثاني

قِراءاتٌ فِي قَصَصِ الأنْبياءِ عليهم السلام

قِرآءَةٌ فِي سُوْرَة

«يُوسُف» عليه السلام

تأليف آية اللّه
الشيخ محمد حسين الأنصاري

الكتاب: العصمة - الجزء الثاني

قِراءاتٌ في قَصَصِ الأنْبياء عليهم السلام

قِراءَةٌ في سُوْرَةِ «يُوسُف» عليه السلام

تأليف: آية الله الشيخ محمد حسين الأنصاري

البريد الالكتروني: la_ilaha_illa_hoo@hotmail.com

الموقع الالكتروني: www.alansaree.info

تصميم وإخراج: حسان يوسف

البريد الالكتروني: hassan.m.youssef@gmail.com

الطبعة: الأولى 2014

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

All rights reserved © 2014

التوزيع في لبنان والوطن العربي شركة الناشرون هاتف 1555299 961+

مقدمات الطبعة الثانية للجزء الأول

مقدمة مركز الأبحاث العقائدية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن موضـــوع العصمة من امّهات المباحث التي ترتكز عليها مســـألة النبوّة والرسالة والامامة الالهية؛ إذ لا معنى للنبوّة والرسالة والإمامة الإلهية من دون العصمة، وذلـــك لأن الدليل العقلـــي حاكم بعدم إمكان قبـــول قول أحد على أنه من قبل الله ســـبحانه وتعالى ووجوب اتباعه، وهـــو كأحدنا معرض للخطأ والسهو والنسيان.

ومن هذا المنطلق يكون البحث في العصمة من أهم مباحث الإمامة، لأن نفيها نفي للإمامة والرسالات الإلهية.

و«مركـــز الأبحـــاث العقائدية» الـــذي كرس جهـــده لنشـــر مذهب أهل البيـــت عليهم السلام في العالم ودرء الشـــبهات عنه، من أهم نشـــاطاته عقـــد الندوات العقائدية بين الحين والآخر، لطرح أهم المسائل العقائدية والخلافية، وتناولها بالبحث العلمي الدقيق، بعقبها الحوار المفتوح.

من أوائل الذين تمت دعوتهم لهذه الندوات وفي بدايات تأســـيس المركز سماحة الأســـتاذ العلامة الشـــيخ محمد حســـين الأنصاري حفظه الله، ليدير ندوة عقائدية حول موضوع العصمـــة، يبحثها من مختلف جوانبها التي منها ردّ الشبهات.

فتناول في بحثه العصمة لغة «واصطلاحـــا»، وأقوال العلماء في العصمة، ومن ثم تطرق الى الأدلة العقلية والنقلية.

وفي بحثه هذا تطرق الى أهم الشـــبهات المثارة في مســـألة العصمة، مع اعطائـــه الحلول العلمية لها، كمســـألة حصر العصمة في حـــال التبليغ والفتيا، ومسألة السهو لنبيّنا صلى الله عليه وآله، وما دار حول موضوع عصمة الزهراء البتول عليها السلام.

وهـــذه الندوة، التي ألقاها ســـماحته فـــي المركز، موجودة على شـــكلها الصوتي والمرئي في موقع المركز على الانترنت (WWW.aqaed.com) في قســـم (المكتبة الصوتية - المرئية) وبحثه هذا وإن لم يســـتطع أن يستوفيه بتمامه في ندوة، إلا أنه اســـتطاع أن يلم بالكثير من أهم أبحاثه في كتابه هذا الذي صدرت الطبعة الأولى منه ضمن «سلســـلة المعارف الإســـلامية» التـــي يصدرها مركز الرسالة.

وهذه هـــي طبعته الثانية التـــي ازدادت ببعض التصحيحـــات والاضافات المهمة، قدمها المؤلف للطبع بعد أن نفدت نســـخ الطبعة الأولى منه، ليسد به الفراغ الموجود في هذا الموضوع ويغني المكتبة الإسلامية.

مركز الأبحاث العقائدية

فارس الحسون

25 جمادي الثاية 1423 هجري

مقدمة دار الصديقة الشهيدة عليها السلام

للبحوث العليا في الفقه والأصول والكلام

بسم الله الرحمن الرحيم

أضحت البحوث الكلامية من أهم المسائل التي ارتكزت عليها الرؤية الإسلامية في غضون الصراعات الفكرية الناشبة بين تكتلات دينية لها رؤيتها الخاصة، أوتكتلات سياسية لها مواقفها المتميزة، أوتجمعات لها تنظراتها كذلك، وبين هذا وذاك استطاعت المدرسة الإمامية أن تتميز بشخصيتها التنظيرية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولعل أهم ما يميز هذه المدرسة في بحوثها الكلامية، بحوث العصمة التي احتلت مساحة واسعة من تنظيراتها، والسبب في ذلك ان العصمة تعد أحد الأركان الرئيسية في تعيين الإمام وتشخيصه كرؤية إسلامية عامة، ورؤية إمامية خاصة.

أي استطاعت المدرسة الإمامية وبكل جدارة أن تثبت بالعصمة استحقاق الإمام لمنصب الإمامة، وأن العصمة من ملازمات تعيين الإمام اذ كيف يعرف المعصوم لولا النص الإلهي على تعيينه، فالعصمة ملكة نفسانية لا يمكن معرفتها إلا بالنص على من تتوفر فيه، فالعصمة ملكة نفسانية لا يمكن معرفتها إلا بالنص على من تتوفر فيه هذه الملكة «الخفية» التي لا يعلم بها إلا الله

تعالى ولا يمكن للأمة أن تتعرف على ذلك لولا النص الإلهي في الدلالة على هذا المعصوم، وبذلك اغلــق الطريق على تنظيرات اختيــار الأمة ورغبتها في تعيين الإمام التي اصطلحت عليها بعض المدارس بمبدأ الشــورى، والاجماع، أو البيعة والاختيار الى غير ذلك من المصطلحات المتعارضة مع النص القرآني والسنة النبوية والعقل بعد ذلك.

من هنا اتضحت أهمية بحوث العصمة لدى المدرسة الإمامية.

ولعل بحوثها تعد البحوث الحاسمة في الاستدلال على مبدأ النص الإلهي في تعيين الإمام.

وهذا ما دفع علماءَنا رضوان الله عليهم أن يعقدوا مباحثهم الكلامية حول هذا المحور، وأن يبرهنوا على صحة ميدأ «النص على الإمام» ببحوث العصمة القرآنية والنبوية.

ولم تنته حلقة الاســتدلال هذه ما لم تطرح تســاؤلات من هنا وهناك في إمكانية التعامل مع مبدأ العصمة تطبيقياً أي هل ســنجد على المستوى العلمي فضلاً عن التنظيري حقيقة العصمة وواقعها؟

ومعلــوم ان هذه التســاؤلات والتشــكيكات لها دوافعها السياســية التي حاولت أن تتعامل مع الخليفة أو الحاكم السياســي على أنهما غير معصومين، وإمكانية صدور الخطأ عنهما لعدم عصمتهما، لذا فما يرتكبه الحاكم السياسي أوالخليفة من أخطاء يمكن تبريرها على أســاس هــذه الرؤية القاصرة من نفي العصمة، وتوســيع دائرة صلاحيات الخليفة دون قيد أوشــرط، وإن أخطأ فله أجر.

وهكذا تمادت هذه الدوائر السياســية في «تصويب» ما يرتكبه الحاكم من أخطاء على أساس الاجتهاد، أومعذوريته على أساس نفي العصمة، لاغية بذلك أدلة القرآن والسنة، وما يقتضيه العقل والوجدان.

من هنا علمنــا أهمية بحوث العصمــة، وإيضاح حقيقتها، وبيــان أدلّتها،

وكونها من أبدع ما أنجزته المدرسة الإمامية من تنظير في هذا المجال.

وهكذا هو الكتاب بين يدي القاريء الكريم الذي تصدى لتأليفه أحد الباحثين المرموقين في هذا المجال سماحة العلامة الشيخ محمد حسين الانصاري الذي عُرفَ بولائه لأئمّته الطاهرين عليهم السلام واخلاصه، فقد قدّم بحثه اعتماداً على الأدلة القرآنية والنبوية، والعقلية في هذا المجال بأسلوب جميل واستدلال متين، فله ألف شكر وتقدير، سائلين المولى القدير أن يؤيده لخدمة الدين الحنيف، والدفاع عن أئمة أهل البيت المعصومين عليهم صلوات الله أجمعين.

13 رجب الأصب 1423 هجري

ذكرى ولادة أمير المؤمنين وسيد الموحدين
وإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام

دار الصديقة الشهيدة عليها السلام

للبحوث العليا في الفقه والأصول والكلام

السيد محمد علي الحلو

مقدمة الأستاذ الكبير والمتتبع الباحث

الحاج السيد مرتضى الرضوي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى وعلى عترته الأئمة الطاهرين المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الى قيام يوم الدين.

وبعد... فإن سماحة العلامة الجليل صاحب الفضل والفضيلة الشيخ محمد حسين الأنصاري دام فضله[1] قد رغب في أن أقدم كلمة لكتابه (العصمة)

(1) لصاحب الفضيلة الشيخ الأنصاري حفظه الله تعالى وأمد في عمره مجموعة رائعة من المؤلفات منها :

1 - المدخل الى سنن التاريخ في القرآن الكريم.

2 - المعايير العلمية لنقد الحديث.

3 - ديوان شعر في الإمام الحسين عليه السلام.

4 - ثورة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

5 - ديوان شعر متنوع.

6 - أسباب الانتكاسة الميدانية لثورة شعبان 1411 هجري.

هذه مؤلفاته المخطوطة وله كتابات في مواضيع متفرقة حول المفاهيم الإسلامية.

ومن آثاره المطبوعة :

1 - جذوة مقتبسة من حياة آية الله السيد السبزواري قدس سره.

2 - لمسات الشيخ المفيد على سنن التاريخ. =

لطبعته الثانية، وإجابةً لطلبه وتلبيةً لرغبته أقول:

إن كتاب (العصمة) هذا يحتــوي على تعريفها، ومــا ورد فيها من أقوال لعلمائنا رضوان الله تعالى عليهم في عصمة الأنبياء والأئمةعليهم السلام، مع أدلة عقلية عليهــا، وحجية قول الإمام عليه الســلام لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُــواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ النساء: الآية ٥٩

والأدلة على العصمة واردة في الكتاب والسنة.

فمن الكتــاب قوله تعالــى : ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَــآ أُمَّةٞ يَهۡــدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ الاعراف: 181.

وقد صرح علماء العامة ومنهم الجبائي قال:

هذه الآية تدل على أنــه لا يخلوزمان البتة عمن يقــوم بالحق ويعمل به، ويهدي إليه، وأنهم لا يجتمعون في شيء من الأزمنة على الباطل.[2]

ومن السنة قول الإمام الصادقعليه السلام :

«نحن خزان علم الله، نحن تراجمة أمر الله، نحن قوم معصومون.

= 3 - الإمامة والحكومة في الإسلام.

4 - العصمة: حقيقتها، أدلّتها، نشــرها مركز الرســالة الإســلامي في مدينة قم قبل أعوام، وهذه الطبعة الثانية تمتاز بزيادات وتعديلات كثيرة.

وله ثلاث إجازات في الإجتهاد:

من آية الله العظمى السيد محمد كاظم المرعشي،

وآية الله العظمى السيد محمد مفتي الشيعة،

وآية الله العظمى الشيخ بشير النجفي.

كما وإن له إجازات رواية مــن عدد من علماء الفرقــة المحقة منهم آية الله الســيد عبد الأعلى السبزواري.

ولديه اجازات في التصدي للأمور الحســبية من عدد من مراجعنا العظــام منهم آية الله العظمى السيد علي البهشتي.

(2) انظر: تفسير الفخر الرازي: 15 / 76-77.

أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا، ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض.»[3].

وقال المجلسي رضوان الله تعالى عليه:

إعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة عليهم السلام أنهم معصومون، مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنبا صغيراً ولا كبيراً ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم.

واعتقادنا فيهم أنهم موصوفون بالكمال والتمام، والعلم من أوائل آمورهم الى أواخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا جهل. (3)

وهذا ما ندين الله به ونعتقده في الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام.

إن موضوع العصمة من المواضيع المهمة ولقد أجاد المؤلف في عرضه فجزاه الله خير الجزاء.

السيد مرتضى الرضوي

طهران: 25 جمادي الثانية عام 1422 هجري

---

[3] بحار الأنوار: 11/ 72 باب عصمة الأنبياء.

مقدمة الطبعة الثانية للجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله المعصومين.

ان من دواعي الفخر والاعتزاز أن يرى كتابنا (العصمة) كل هذا الإقبال والاعتناء من قبل أهل الحق، ورأينا انه من اللائق أن يطبع مرة أخرى لإتمام الفائدة وترسيخ الحق عند أهلة أكثر، وبيان بعض المطالب العلمية التي حذفت من الطبعة الأولى التي تكفل بها مركز الرسالة مشكوراً، وذلك لأجل أن المناقشة والاستدلال على تعريف العصمة أعلى من مستوى القاريء، لأن الحديث في كثير من جوانبه حديث حوزوي بحت، ومناقشة علمية دقيقة.

والواقع ان الاختيار قد وقع على هذا البحث بالذات لأن الشبهات قد رفعت عجيزتها هذه الأيام وحتى من رجال يدَّعون العلم والمعرفة وقد حسبوا على الحوزات العلمية ظلماً وعدواناً، فهم اما كانوا في الحوزة العلمية شكلاً فقط، وكانوا يعدون الأيام والسنين وهم مشغولون بأمور لا ينبغي ذكرها، أوكانوا قد أتعبوا أنفسهم بطلب العلم إلا انهم لم يفهموا منه شيئاً، لأن هذه المطالب أعلى من مستوى تفكيرهم، أوعرفوها ونسوها، أو انها كانت بعيدة عن أعينهم مع قربها لهم لأمور وأمور، أواستيقنتها أنفسهم وجحدتها أهواؤهم ظلماً وعلواً، لأجل خفايا وراء الكواليس، ولا نريد التدقيق والتحقيق بكل ذلك (لا تكشفن مغطئاً...).

المهم انه بعد بروز هذه الشبهات على السطح أخذت تُؤَيَّد من قبل شرذمة قليلة تدعي الثقافة، وهي أبعد شـــيء منها إلا ان صوتها قوي لأجل انها صاحبة أبواق عريضة، فخفنا أن يُغْتَر بها، ويظهر لها أســـواق في بلادنا، فتصدى بعض أهل العلم لها ليخنقوها في أماكنها، وليبينوا للنـــاس جهل معتنقيها، والداعين إليها، وزيف ثقافتهم، وما هـــي إلا اتباع لأفكار المعارضين من غير أهل الحق، أومخالفات صريحة لاجماع المســـلمين على اختلاف اتجاهاتهم، فهي حينئذ باطلة جزماً بلا اقامة أي دليل سوى هذه، وكفى بها بيانا انها خارجة عن قولهم، فالتفت الى ذلك.

وكتبت في هذا الشـــأن كتابيـــن، الأول منهمـــا (الحكومـــة والإمامة في الإســـلام) وقد قامت بطبعه مكتبة النجاح مشـــكورة، وكان هذا هوالثاني، وقد اعطيته لمركز الرسالة لطبعه لأن الناس بحاجة إليه.

والحمد لله أولاً وآخراً، حيث طبع أولاً، وحيث نشـــر في أكثر من صفحة فـــي الانترنيت، وحيث مكننا من طبعـــه ثالثاً، مع اضافة الفصـــل الذي حذفناه رعاية؛ نسأل الله تعالى أن يتقبل أعمال الجميع.

محمد حسين الأنصاري

سدني- استراليا

مقدمة الجزء الثاني

الخاص بسورة «يُوسُف» عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام الـــذي دار حول هذه الشـــخصية العظيمة في التاريـــخ يتراوح بين مقامات ومقامات، بين مقامات لا يحيط بها الانســـان، وبين واقع فج تشـــمإز منه النفوس، وتقشـــعر له الأبدان، وبين ذا وذا أقوال تتأرجح، وأهواء تتمرّغ في أعتاب العلم وما هي منه، ولا هومنها بشئ.

فأيّ الأفكار هوالصحيح ؟ وأيّها القبيح ؟

عسى الفكر الدائخ من هذا الخضمٌ يستريح عند الإجابة الدقيقة.

فربطتُ على قلبـــي، وقلتُ لِأَسْـــتقبل البيت من وجهه، وأبدأ بســـم الله وبالحمد له، مشـــفوعاً بالصلاة على خير خلقه وسادة بريته محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين، ولأطرق الباب قبل الولوج، وأُســـلِّم ولو على نفسي إن لم يكن ثَمّ أحد موجود، عسى أن أشـــاهد بعض ما هو في داخلها قائم ومسنود، من دون زيغ ولا تهويل، ولا استدلال بضعفي، وهوى نفسي، فإن النفس لأمارة بالسوء إلّا ما رحم ربي، متدبراً، لا بقياس الجبال بالحفر، ولا بيوت الشَّعر بالمدر، ولا الحجار بالدرر.

وتوكلــت فعلاً على اللــه، وبدأت أقــرأ كتاب الله، وركّــزت على نفس الآيات، وبدأت بما بدأتِ القصــة به، وانتهيتُ بما انتهتْ، متوكلاً ومتوســلاً، ومستشفعاً ومتأملا، لا متسولاً، ولا متقولاً ومن نفسي متأولا.

ومن الله السداد؛ وهوالذي فتح باب الدار، وكل الأبواب، بعد أن غلَّقَتْها أهواؤنا، وهوالذي أمرنا بالســلام على أنفســنا إن لم نجد أحــداً فيها، وأرادنا كالشاهد من أهلها حين نحكم في هذه القضية، أو أن نقتفي أثره، فنحكم بحكم الحق، وإن لم نر شــيئاً ببصرنا فعلينا أن نراه ببصيرتنا، لا أن نجعل قدَّ القميص من قُبُلٍ كقدِّهِ من دُبُرٍ، بِجَعْل همِّ يوسف كهمِّها.

وكفى بهذه المقدمة بياناً كافياً لِمَن ألقى السمعَ وهو بصير.

وهو الذي يعرف الإظهار والإسرار، وهو المطلع على ما دار، والحمد لله أولاً وآخرا.

محمد حسين الأنصاري

سدني / أستراليا

أوائل سنة 1426هج.

تمهيد :

راجع الدرَّ المنثور في التفسير بالمأثور لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين، الخضيري، المعروف بجلال الدين السيوطي حول تفسير آيات سورة يوسف لتجد ما تقشعر له الأبدان، وما لا يرضاه العاقل لنفسه، فكيف يرضاه لنبي من أنبياء الله اختاره لنفسه واصطفاه بعلمه.

وانظر تفسير الجلالين في طريقك لِتَرَ ما يندى له الجبينان خجلاً.

ولا يكن ابن كثير في تفسيره بعيداً عنك كثيراً، لتجد ما يستحي المؤمن من ذكره ونقله في نقلهم لهذه الواقعة.

واما الطبري فقد طبّرها تطبيرا إذ قال : [فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ هَمّ يُوسُف بِالْمَرْأَةِ وَهَمّهَا بِهِ، فَإِنَّ أَهْل الْعِلْم قَالُوا فِي ذَلِكَ مَا أَنَا ذَاكِره].

وقد ذكر ما ذكره غيره ممن يسوِّد الأوراق بذكرأفعال ينسبها لانبياء الله ليبيض بها شعر حتى الشباب، وردّاً على المتعجب من أمثالي أجاب، ثم قال:

[وَقَالَ آخَرُونَ: بَل ابْتَلَاهُمْ بِذلِكَ لِيَجْعَلهُمْ أَئِمَّة لِأَهْلِ الذُّنُوب فِي رَجَاء رَحْمَة اللَّه، وَتَرْك الْإِيَاس مِنْ عَفْوه عَنْهُمْ إِذَا تَابُوا. - وكأنَّ يوسف هوالمعتدي على المرأة، فوا عجبي من ذلك، لتكرار هذا القول من عددٍ من المفسرين -.

وَأَمَّا آخَرُونَ مِمَّنْ خَالَفَ أَقْوَال السَّلَف وَتَأَوَّلُوا الْقُرْآن بِآرَائِهِمْ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا فِي ذَلِكَ أَقْوَالًا مُخْتَلِفَة: فَقَالَ بَعْضهمْ:

مَعْنَاهُ: وَلَقَدْ هَمَّتِ الْمَرْأَة بِيُوسُف، وَهَمَّ بِهَا يُوسُف أَنْ يَضْرِبهَا أَوْ يَنَالهَا بِمَكْرُوهٍ لِهَمِّهَا بِهِ مَا أَرَادَتْهُ مِنَ الْمَكْرُوه، لَوْلَا أَنَّ يُوسُف رَأَى بُرْهَان رَبّه، وَكَفَّهُ ذَلِكَ عَمَّا هَمَّ بِهِ مِنْ أَذَاهَا، لَا أَنَّهَا ارْتَدَعَتْ مِنْ قِبَل نَفْسهَا.

قَالُوا: وَالشَّاهِد عَلَى صِحَّة ذَلِكَ قَوْله: (كَذَلِكَ لِنَصْرِف عَنْهُ السُّوء وَالْفَحْشَاء).

قَالُوا: فَالسُّوء: هُوَ مَا كَانَ هَمَّ بِهِ مِنْ أَذَاهَا، وَهُوَ غَيْر الْفَحْشَاء.

وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: مَعْنَى الْكَلَام: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ. فَتَنَاهَى الْخَبَر عَنْهَا، ثُمَّ اُبْتُدِئَ الْخَبَر عَنْ يُوسُف، فَقِيلَ: وَهَمَّ بِهَا يُوسُف، لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَان رَبّه. كَأَنَّهُمْ وَجَّهُوا مَعْنَى الْكَلَام إِلَى أَنَّ يُوسُف لَمْ يَهِمَّ بِهَا، وَأَنَّ اللَّه إِنَّمَا أَخْبَرَ أَنَّ يُوسُف لَوْلَا رُؤْيَته بُرْهَان رَبّه لَهُمْ بِهَا، وَلَكِنَّهُ رَأَى بُرْهَان رَبّه فَلَمْ يَهِمّ بِهَا، كَمَا قِيلَ: (وَلَوْلَا فَضْل اللَّه عَلَيْكُمْ وَرَحْمَته لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَان إِلَّا قَلِيلًا).

وَيُفْسِد هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ أَنَّ الْعَرَب لَا تُقَدِّمُ جَوَاب «لَوْلَا» قَبْلهَا، لَا تَقُول : لَقَدْ قُمْت لَوْلَا زَيْد، وَهِيَ تُرِيد: لَوْلَا زَيْد لَقَدْ قُمْت.

- وسيأتيك فساد هذا الرد على إطلاقه، بل فساده وما بعده -

هَذَا مَعَ خِلَافهمَا جَمِيع أَهْل الْعِلْم بِتَأْوِيلِ الْقُرْآن الَّذِينَ عَنْهُمْ يُؤْخَذ تَأْوِيله.

- وسيوافيك ما فيه -.

وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: بَلْ قَدْ هَمَّتِ الْمَرْأَة بِيُوسُف وَهَمَّ يُوسُف بِالْمَرْأَةِ، غَيْر أَنَّ هَمَّهُمَا كَانَ تَمْثِيلًا مِنْهُمَا بَيْن الْفِعْل وَالتَّرْك، لَا عَزْمًا وَلَا إِرَادَة.

قَالُوا: وَلَا حَرَج فِي حَدِيث النَّفْس وَلَا فِي ذِكْر الْقَلْب إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُمَا عَزْم وَلَا فِعْل. إنتهى.

والذي راه يوسف على ما نقلوا لو راه أفجر الفجرة لترك الأمر، لِما سيداخلُهُ من رهبة وخوف يذهل عندها عمّا يريد، فكيف يُمدح يوسف بذلك؟

فضلا من أن بعضهم قد نقل ظهور آيات قرانية له، فهل هبط الأمين جبرئيل عليه السلام بها عليه قبل أن ينزلها على صدر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهوفي تلك الحالة المريبة؟!.

والقرطبي أحسنهم فيما ذكر.

ولكل ذلك ولغيره جاء في (الإعجاز العلمي في القران الموسوعة العلمية المعاصرة) ما يلي:

«وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ» أي همَّت بمخالطته عن عزمٍ وقصدٍ وتصميم، عزماً جازماً على الفاحشة لا يصرفها عنها صارف، وقصدت إجباره على مطاوعتها بالقوة، بعد أن استحكمت من تغليق الأبواب، ودعوته إلى الإِسراع، مما اضطره إلى الهرب إلى الباب.

«وَهَمَّ بِهَا» أي مالت نفسه إليها بمقتضى الطبيعة البشرية، وحدثته نفسُه بالنزول عند رغبتها حديث نفسٍ، دون عزمٍ وقصد، فبين الهمَّيْن فرق كبير.

وقد قال الإِمام الفخر الرازي قبله : «الهمُّ خطورُ الشيء بالبال أو ميلُ الطبع، كالصائم في الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسُه على الميل إليه وطلب شربه، ولكنْ يمنعه دينُه عنه».

«لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ» جوابه محذوفٌ أي لولا حفظ الله ورعايتُه ليوسف، وعصمتُه له لخالطها وأمضى ما حدثته نفسه به، ولكنَّ الله عصمه بالحفظ والتأييد فلم يحصل منه شيءٌ البتَّة.

قال أبوحيّان:

نسب بعضُهم ليوسف ما لا يجوز نسبتُه لآحاد الفُسَّاق.

والذي أختاره أن «يوسف» عليه السلام لم يقع منه همٌّ البتَّة، بل هومنفيٌّ لوجود رؤية البرهان.

كما تقول: «قارفتَ الذنبَ لولا أن عصمك الله».

وكقول العرب : «أنتَ ظالمٌ إن فعلتَ».

وتقديره: إن فعلتَ فأنتَ ظالم.

وكذلك هنا التقدير: لــولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بهــا، ولكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهمُّ.

وأمّا أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحدٍ منهم شيءٌ من ذلك، لأنها:

أقوالٌ متكاذبة يناقضُ بعضُها بعضاً، مع كونها قادحة في بعض فساق الملل فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة.

وقال أبو السعود:

إن همَّه بها بمعنى ميله إليها بمقتضى الطبيعة البشــرية، ميلاً جبلياً، لا أنه قصدها قصداً اختيارياً، ألا يرى إلى ما ســبق من اســتعصامه المنبئ عن كمال كراهيته لــه ونفرته عنه، وحكمه بعــدم إفلاح الظالمين، وهل هو إلا تســجيلٌ باستحالة صدور الهمّ منه تسجيلاً محكماً؟

وما قيــل: إنه حلَّ الهميــان، وجلس مجلس الختان، فإنمــا هي خرافاتٌ وأباطيل، تمجها الآذان، وتردّها العقول والأذهان.

«كَذَلِكَ» أي ثبتناه على العفة أمام دوافع الفتنة والإِغراء لنصرف عنه المنكر والفجور.

وهذه آيةٌ بيِّنة، وحجةٌ قاطعة على أنه عليه السلام لم يقع منه همٌّ بالمعصية.

ولو كان كما زعمــوا لقال «لنصرفه عن الســوء والفحشــاء»؛ فلمّا قال: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ دلَّ على أن ذلك شــيء خارج عن الإِرادة فصرفه الله عنه، بما منحه من موجبات العفة والعصمة.

﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ أي لنصرف عنه الزنى الذي تناهى قبحهُ.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ســورة يوســف: الآية 24 بفتح اللام أي

الذين أخلصهم الله لطاعته، واصطفاهم واختارهم لوحيه ورسالته، فلا يستطيع أن يغويهم الشيطان...».

هذا مـــا ما أردنا نقله عـــن عامة المســـلمين وعلمائهم في هـــذه المقدمة السريعة.

ثم نختمها بما جـــاء في روايةٍ فيما رواه الـصـــدوق رحمه الله حول هذا كله، روى :

«ان الـمـأمـون الـعـــباسي جمع للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهـــل الإســـلام والــــديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين، وكان فيهم علي بن الجهم مـــن اهـل الـمـقـالات الاسـلامـيـين، فسأل الرضا عليه السلام أسئلة كثيرة منها عن قوله تعالى في يوسف: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾؟. سورة يوسف: الآية 24

فأجابه عليه السلام فيما أجاب:

ويحك يا علي ...إن اللّه عـــز وجل يقول: ﴿وَمَا يَعۡلَـــمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ سورة آل عمران: الآية 7...

إلى أن قال عليه السلام:

أما قوله عز وجل في يوســف: ﴿وَلَقَـــدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾؟. ســـورة يوســف: الآية 24، فانها همت بالمعصية، وهمّ يوسف بقتلها إن اجـبـرتـــــه، لِـعظم ما داخله، فصرف اللّه عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله : ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ سورة يوسف: الآية 24 يعني القتل، ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ سورة يوسف: الآية 24 يعني الزنا. (4)

(4) الـبـحـار 11 : 73، عـن امـالي الصدوق 55، وفي طبعة أخرى : 90.

الفصل الأول

وبعد تلك المقدمة، وهذا التمهيد وما رأيت فيهما من القيل والقال وصحة المقال، صممت على الرجوع إلى الآيات المشيرة للواقعة من أولها لآخرها حسب الرسم القراني، وتأملت كثيرا فيها فرأيت عجبا، إذ ظهر أن كل آية منذ الشروع وحتى اللحوق، ولبداية ظهور الحقوق تبين براءة ونزاهة يوسف على نبينا وآله وعليه السلام.

كل آية تدل على الطهارة والعصمة.

وإن قلت كيف؟!

أطلب منك بلا وجلٍ وتردّد حتى لا يصيبك حيف، أن نتمعن في الآيات البيّنات واحدة تلوالأخرى لِنَرَ العجب:

الآية الأولى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾. سورة يوسف: الآية 22

الظاهر واللهُ تعالى العالم أن المقصود من بلوغ الأشد هنا الإشارة لاكتمال رجولته، أي عندما انتقل من مرحلة الطفولة لمرحلة الشباب والنضوج.

وإن كان استعمال الأشد قد أتى في القران الكريم عدة مرات بمعانٍ مختلفة.

هذه إحداها ولِأجل ذلك ذهب المفسرون كلٌ يقيس بمقياسه فحدّد بعضهم، وتردد آخر.

فما هو عمر يوسف يوم أن آتاه الله ذلك؟!

من هنـــا نعرف أن ذلك يعتمد اعتمـــادا كلياً لِمعرفة الأشـــد في هذه الآية المباركة.

قال تعالى في سورة الأنعام:

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ..﴾ الآية 152

والظاهر منها بل المتفق عليـــه أن اليتيم إذا بلغ مبلغ الرجال رشـــيداً فهو الأحق بالتصرف بأمواله وقد عبرت الآية عن ذلك ببلوغ أشـــده فقط بلا إضافة له، كما هي كذلك في الآية موضع البحث.

وهو نفس معنى هذه اللفظة في آية سورة الكهف حيث قال تعالى:

﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا﴾ الآية 82.

ومنهما نستفيد أن هذا هو المقصود في هذه الآية مورد البحث، خاصة أن الإستعمال اللغوي يدل عليه وهو أول ما يصدق عليه ذلك.

وأما في قصة موسى فبلوغ الأشد كان غير هذا إذ قال تعالى :

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمًا وَعِلۡمًاۚ﴾ سورة القصص: الآية 14

فهنا نرى أن الإستعمال القراني لهذه اللفظة لم يكن مجرداً، بل أتى بتلك الكلمة وعطف عليها فعلاً آخر، ليدل على التوسط بدلالة الإستواء، إذ الإستواء على الشئ التمكن منه كليا.

والرابعة في قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُـــدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَـــنَةً قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡـــكُرَ نِعۡمَتَكَ﴾ سورة الأحقاف: الآية : 15.

وهنا أيضاً عطف ولكن على فعلٍ ثان، يدل على النضوج الكامل التام ببلوغه الأربعين سنة، وكأن ذلك العمر هو قمة النضوج وسنامه فعطفه عليه ليبين معنى الاشد المقصود في الآية المباركة.

واختيار الأول لوجود حرف العطف في الأخير وما قبله، فلو كان الأشد بلوغ تلك المراحل لما ذُكرتِ الواو كما هو حاصل فعلاً في الآية التي نحن بصددها، فعُلِمَ من ذلك أنه ليس الشباب المتوسط ولا مرحلة الرجولة التي هي أوج الشبابية وقمتها، ففكر في ذلك لتجد صدق هذه الدعوى؛ وترى ما في تفسير الجلالين حيث قال:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ وهوثلاثون سنة، أو وثلاث.

وكذلك ما في ظاهر قول بعض المفسرين من أنه تدرج فأعطي، وكأنه قياس على ظاهر الحياة لنموالأفراد وتكاملهم، وقد فاته أن بعض الأنبياء والمصطفين قد آتاه الله الحكم صبياً، بل أوصىَ بعضهم بالصلاة والزكاة وهو رضيع ما دام حياً، وهنا مثال ثالث لمرحلة أخرى، فسبحان الله، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

فانتبه لهذا فإنه يفيدك في دراسة هذه المواقف ومعرفتها، لِتوجيهها بالوجه الصحيح.

المهم انه في ذلك العمر الغض ومرحلة الشباب الاولى آتاه الله الحُكم والعِلم، جزاءاً لإحسانه المنعكس على حُسنه حيث اختلط فيه جمال الشباب مع حُسن النبوة فكان جمال يوسف بحق يُضرب به المثل، فسبحان الله.

وهنا نتسأل: هل تجتمع كل هذه الأوصاف مع شخص يهمٌ بالفاحشة، أويوصَف بالرذيلة في أي مرحلة؟!.

ففي هذه الآية اكثر من دليل:

الأول: إتيانه العلم، وهذا العلم جزاء إحسانه بصريح القرآن وهو من الله

تعالى فلا بد أن يكون علما هاديا ونورا كاملا وبرهانا ساطعا.

الدليل الثاني: بنفس ذلك الجزاء المترشح من الإحسان أعطاه تعالى حكما، فيجب ان يكون إلهيا وهو كذلك؛

بل جعل فاعل الإتيان لهما ضمير الجمع العائد على ذاته المقدسة عظمةً.

ولذا حكم على الفعل المنكر بالظلم بجعل فاعله من الظالمين كما سيأتي في آية أخرى.

ولا تقل فكيف بتلك الروايات؟!

لأني أقول لك ضع الروايات بيدك اليسرى وتابع بعينيك ما هو أمامك مسطور لتحكم بالعقل والمعرفة متى ستصدق تلك الروايات مع أي آية سنستعرضها من القران الكريم الذي تضعه بيدك اليمنى عندما نتبحر فيها، ونتدبر من أول آية تتعرض للحادثة لِاخِر آية، وعندها إما أن تحكم بصدق تلك الروايات، وإما أن تحكم عليها بالوضع والتلفيق وأنها من الإسرائيليات التي امتلأت بها كثير من الكتب مع الأسف الشديد، فكل ذلك بين يديك ولا نطلب منك أكثر من ذلك.

***

الآية الثانية: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ سورة يوسف: الآية 23.

لاحظ الآية المباركة:

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾

لِمَن يعود ضمير المراودة ؟

هل يعود ليوسف؟

كلا وألف كلا، إنه يعود لامرأة العزيز.

بل إنَّ كل الضمائر الموجودة في هذا المقطع الحساس الدالة على السيطرة والمراودة تعود إليها، وكان كالأسير بين يديها، إذ هو في بيتها، وهي التي غلَّقت الأبواب، وهي التي دعته إليها وهيأت له كل شئ.

فهل استجاب لها، بعد محاصرته بتلك الأحوال إذ هو في بيتها، وقد حصرته بتلك الأفعال، إذ هيأت له كل شئ وغلَّقت الأبواب، مع محاصرتها له بتلك الأقوال المصاحبة للأفعال والمراودة والأحوال إذ قالت له : - هيت لك - ؟!

وماذا كان جوابه؟

والله ما قال لها إلّا ﴿**مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ**﴾.

فنراهُ أولاً:

إستعاذ بالله، وأي استعاذة؟! استعاذة كما تراها لم يجعل لكيانه وجوداً يداخلها، أو تداخله، فالوجود له سبحانه، والمعاذ به لكل شئ من كل ما يُستعاذ منه.

ولا عجب فكما إنّ امراءة العزيز قد شغفها يوسف حباً ولم ترَ أحداً إلاهُ، ولم تخشَ مِنَ المراقبة والمخاتلة في قصرها المشيد، ولم تخجل لا من زوجها ولا من الرجال ولا من النساء، ولم تخف على عزها الوطيد، فهل ترى يوسف الصديق أقل حبّاً لله منها في حبها له؟!

وهذا القران يبين الحق إذ يقول:

﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ**

﴿ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ سورة البقرة: الآية 165.

فكيف بأنبياء الله وهم المخلصون منهم؟!

والواقع إن هذا ظاهر في هذه الآية الكريمة وضوح الشمس في رابعة النهار، إذ بعد مواجهتها له بهذه الوقاحة والجرأة، كان رد فعله الأول هو ذكر الله سبحانه وتعالى فلم ينبت ببنت شفة إلا بذكره والإستعاذة به منها، بل نراه حتى أنه في مقام الرهبة تلك لم يُظهِر أي فعل منه لا جارحي ولا لفظي في رده السريع وقد جوبه بهذا الأمر الخطير فجأةً إلا المعاذ بالله مباشرةً، إذ أن الله تعالى هو الحصن الحصين له، والملجأ الوحيد عنده، لما لله سبحانه من الحضور في داخل نفسه الشريفة والجلاء.

فكيف لمن حاله هذا أن تميل نفسه؟!

فهيَ إذا أرادت أن تنفرد بمحبوبها، وانفردت به، فهو عليه السلام منفرد بمحبوبه في كل لحظة، فأينه وأين الشهوة أو النزوة أو حتى ميل بشري للطبيعة التي لا ننكر وجودها، ولكن ننكر تحركها لا اعتباطاً بل بالأدلة العامة والخاصة التي ستمر عليك، لا دليل على التحرك سوى قياس أنبياء الله بنا من هذه الجهة الغريزية بالذات، مع علمنا وإدراكنا الجازم بأن البشر العاديين أنفسهم بلا مدخلية لارتباط خاص بالله أو عدمه ليسوا سواءاً أمام تحرك الطبيعة في داخلهم قبل الإنصياع لتأثيرها على الشهوة.

كما إننا ننكر تأثيرها عليه بإسلوب سلبي، لأن ارتباطه بالله سبحانه ذلك الإرتباط الوثيق لم يترك لأي قوة سفلية قابلية لأن تجذبه من ذلك المقام العلوي، أولها مجال لأن تتحرك في داخله المضئ بنور من الله بذاك العلم والحكم اللذين آتاهما الله تعالى له، وأخبرنا بهما عند مطلع آياته.

لأن العلم مقابل الجهل وبما أنه باعتراف الباري عز وجل أنه آتاه العلم فلا مجال للجهل حينئذٍ، وإذا تأملنا أكثر انكشف لنا المقام بصورةٍ أجلى.

فكل ظلم فيه نوع من الجهل.

ولاحظوا قولـــه تعالى ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ سورة يوسف: الآية 23.

أي إنه لا يمكن أن يكون ظالماً بأي أنواع الظلم، ولعلَّ نكتة الجمع للفظ الظالم ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ جاءت من هنا.

وبما ان الله تعالى قد آتـاه الله العلم كما صرَّح في محكـم كتابه، إذاً لا يمكن أن يكون جاهلاً لأنه عالم ببيان القران، فلا يمكن أن يكون ظالماً حينئذٍ، لا بميل شـهواني لأنه عين الجهل والظلم، ولا بميـلٍ طبيعي لأن داخله مضاء بنور العلم تماماً فلا مجال لأي قتمةٍ أن تداخلـه لأنه بعيد جداً عنها، وهذا هو الذي يتفاوت به البشـر من واحدٍ لآخر فإذا أمكننا أن نتصور أن هناك من البشر من لا تتحرك الطبيعة بداخلـه لأجل هذا الموقف فهـو الصديق بلا ريب ولا شك، لصريح قول الله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾. سورة يوسف: الآية 22.

وربما لهذا جاء بعد المؤامرات قوله عليه السلام تسليماً لله واعتماداً عليه:

﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾. سورة يوسف: الآية 33.

فالصبو إليهن نوع من الجهل، بصريـح قوله، فعليه هو مصروف عنه بنور العلم، ولذا قلنا إن هذا كله كان من يوسـف الصديق عليه السـلام تسليماً لله تعالى وتفويضاً مطلقـاً، وهو عين العلم كذلك، ولكنـه غير بعيد عن ضررهن وإلحاق الإذى به منهن كما هو ظاهر القـران الكريم كما توعدت المرأة بذلك علناً أمام النسوة، فمن هنا دعا فاستجاب الله دعائه وابعده عن مكرهنَّ وكيدهن.

واعتقد أني قد أوضحت الفكرة بما فيه الكفاية.

وهو في تلك اللحظة كأسه قد امتلأ بما أفاض فيه مولاه، ولا من فراغ فيه حتى يُضاف إليه، ولا هُما من جنـسٍ واحدٍ حتى يختلطا عنده، فكل ما يقع من

قطراتٍ قاصدةً هذا الكأس فإنها ستقع خارج الإناء جزماً لا شك فيه؟!

فَلْننظُرْ إليه بهذا المنظار على أقل تقدير، لا أن نقيســه بأنفسنا، فشتان بين نفوسنا ونفوسهم، وأنفسنا وأنفسهم.

ونراه ثانياً: قال وأكد الجملة ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ ليدل على إحسانه إليه ورجوعه إليه، بل بيّن في الجملتين اللتين أتى بهما أنه هو المرتكز الأساسي له، ففي الأولى أخبر عنه بل جعل نفســه تابعا إليه بكونه رباً فهو تابع له، وأكد هذا بحرف التوكيد، وبالإضافة إذ أضافه إلى نفسه فهو متشخص به، ولا تعريف له إلا به؛ وفي الجملة الثانية جعله فاعل الإحسان الراجعة فائدته إليه أيضا، فهو مقيد به في جميع الأحوال.

ولهذا نقول إن المقصود من ربي هنا هو رب العالمين، لا من اشتراه.

ولا نميل لما مالت إليه أغلب تفاســير القوم من الخاصة والعامة، مع إن حجتهم يراها القارئ قوية عندما تُساق، إلا أنه عند التمعن أكثر يراها مرجوحة.

والدليل عليه بالإضافة لما ذكرنا:

1): انه على طول القصة كان اســتعمال يوسف لهذه اللفظة مقتصرة عليه سبحانه وتعالى، ولم يســتعملها في أي مورد في المشتري أبداً، ودونك القران فانظر فيه، نعم قد استعمل فيه لفظاً آخر.

وفي الختام قــال ﴿۞رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَــنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَــنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّــمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ سورة يوسف: الآية 101.

2): كما كان استعمال الباري عزّ من قائل كذلك، لاحظوا في قمّة الواقعة ماذا اســتعمل القران : ﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾ ســورة يوسف: الآية 25. ولم يقل وألفيا سيدهما، إستعمل ضمير المفرد العائد عليها فقط، بعد استعماله ضمير التثنية قبل ذلك مباشــرةً ﴿وَأَلۡفَيَا﴾، مع ان المقام ربما يتطلب استعمال

سيدهما لتكون السيطرة على يوسف أشـــد وأقوى، فيكون الإمتحان له أعسر، فانظر لتر الإشارات القرانية الدقيقة.

وقال تعالى في موضع آخر من السورة نفسها ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ الآية 34.

3): وقد أرسلوا له شخصاً إلى السجن ليفسر لهم ما راه الملك:

﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ سورة يوسف: الآية 50، أنظر قال له ارجع إلى ربك ولم يقل إلى ربي، ولا إلى ربنا، بل نســبه إليه ولم يُشرِكْ نفسه الشريفة معه.

4): ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ سورة يوسف: الآية 42، قد قال هذا أيضــاً قبل ذلك، وهو يريد من المخاطب أن يتشــفع له ليخرج من سجنه.

5): بينما في الجانب الآخر نراه يؤكد على ســيادة اللــه عليه، وعبوديته للمولى عزَّ وجل : ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ﴾ سورة يوسف: الآية 33.

6): فضلا عن دقة التعبير القراني لكلمة عبد وإضافتها لضمير العظمة عند قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ سورة يوسف: الآية 24، فنسبه إليه في العبودية، وما يقابل العبودية إلا السيادة والربوبية.

فلماذا إذن نقول هنا إنه يقصد بذلك العزيز؟!

بل مقصوده الله وحده فهو مَن أحسن مثواه، وذاك أكرم مثواه.

من كل ذلك يتضح :

أن مقام العبودية لمثل هذا النبي الكريم يقتضي ذلك **أولاً**.

وثانياً الإستعمال القراني في هذه الآيات المباركات، مع اختلاف القائلين، من كلام الله المنســوب إليه ســبحانه، إلى المنســوب لغيره، كان منصباً على استعمال هذا اللفظ كذلك، كما رأينا.

وثالثاً القرينة اللفظية، فالظهور اللفظي يدل عليه، فلفظ الله مذكور وغيره ليس مذكوراً، وهو قريب جداً منه، بعد التعوذ به من كل ما رأى وسمع.

فلماذا نرجع الضمير لا لمذكور لفظاً، والقرائن لغيره فاقت عددا وعدة؟!

بالإضافة إلى أن عزيز مصر لم يكن سيداً له بأي حال من الأحوال، وهو لم يكن عبداً له ولا لغيره أصلاً، بل هو الحر بن الحر، وهو يعرف ذلك، والله في عليائه مطلع عليه، ولذا ترى دقة الإستعمال القراني في هذه المواطن الحساسة، ولم يُر يوسف الصديق عليه السلام ولا في موطن واحد قد نطق بهذا أبدا.

فكيف بمن تأدب باداب الله ان يقول ما لا يعلمه الله ولا يسمح به؟!

ومن هنا ترى ما في كل المرويات التي يتناقلها القوم والتي تفيد أن المقصود بربي هنا العزيز فهذا كتاب (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) مثلاً يقول :

(وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد رضي الله عنه في قوله [**إنه ربي**] قال: سيدي، يعني زوج المرأة.

وأخرج ابن المنذر عن أبي بكر بن عياش رضي الله عنه في قوله [**إنه ربي**] قال: يعني زوجها.

وقد قاله مجاهد، وابن إسحاق، والسدي، ودونك تفسيرالقرطبي مثلا، وجل نظرك في بقية التفاسير كالطبري والقرطبي وابن كثير، فإنها لا تخرج عن ذلك.

وإذا دققتَ في الروايات فالعجيب فيها أنها لم تروَ عن المعصوم، بل هي عن لسان فلان وفلان، فلاحِظ.

والأعجب أن بعض أهل التدقيق من علماء الخاصة يميل إلى ذلك أيضاً، فهذا الفيض الكاشاني في تفسيره المطبوع بتقديم العلامة الشيخ حسين الأعلمي، وقد عُبِّرَ عنه بأنه (فيلسوف الفقهاء، وفقيه الفلاسفة، أستاذ عصره

ووحيد دهره، المولى محسن الملقب بـ «الفيض الكاشاني» المتوفي سنة 1091هـ) في الجزء الثالث منه يقول: «قال معاذ الله أعوذ بالله معاذا انه ربي أحسن مثواي، سيدي قطفير أحسن تعهدي، فليس جزاؤه أن أخونه في أهله، وإن الله خالقي وأحسن منزلتي بأن عطف عليّ قلبه فلا اعصيه إنه لا يفلح الظالمون.» ج3.

المهم أنَّ أغلب أهل التفسير مالوا لذلك من العامة والخاصة فبالإضافة لمن ذكرنا، هناك الزمخشري في كشافه، والعلاّمة الطبرسي في مجمع بيانه، ورشيد علي في مناره، وعلى رأس تلك الأقوال ظاهر الشيخ الطوسي في تبيانه حيث قال:

«وقوله «انه ربي أحسن مثواي» معناه ان الملك الذي هو زوجها، مالكي في الحكم «أحسن مثواي» باكرامي، وبسط يدي، ورفع منزلتي، وهو قول مجاهد، وابن اسحاق، والسدي والجبائي، وقال الحسن يعني العزيز.

وقال الزجاج : يجوز ان يكون اراد ان الله ربي احسن مثواي أي في طول مقامي»، وغيرهم في غيرها، وأخيراً لا آخراً العلامة الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل يقول بعد تقديم القولين، مع الظهور من أول حديثه أنه يميل للرأي الذي سيرجحه الان يقول :

«ولكن مع ملاحظة وصيّة عزيز مصر لامرأته (أكرمي مثواه) وتكرارها في الآيةـ محل البحث يكون المعنى الأوّل أقرب وأقوى». فهو بهذه النكتة الدقيقة قوّى بأن المقصود بربي في الآية الكريمة هو عزيز مصر، والعجب كيف فاته أن الدقة الأكثر تقتضي الفرق؟!

ففي الآية التي استند عليها (أكرمي مثواه) الإكرام مذكور، بينما في الآية مورد البحث الإحسان هوالمذكور (أحسن مثواي) والإحسان غير الإكرام، فبإحسان الله تعالى هذا أكرم مثواه ذاك، كما هو واضح، وكأنهم لم يلتفتوا كذلك للنكات السابقة التي ذكرناها، وهي العمدة في ترجيح قول الزجّاج، وكان قد ذكر بعضها العلاّمة السيد الطباطبائي في ميزانه لترجيح هذا القول.

فانتبه لها تغنم.

وأعتقد أن هذه النكت الكثيرة قد فاتتهم لا لقصور، ولكن لانشغال البال بما هو أهم عندهم وأولى.

ثم بعد ذلك كله أكد يوسف هذه المعاني وغيرها بقوله ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ سورة يوسف: الآية 23.

فإذا كان ملتفتا بهذه الدقة وبهذا الإتزان كيف يظلم مع أنه أخبر وأكد إنه لا يفلح الظالمون ؟

فهذه الآية الثانية التي تبين براءة يوسف من كل ما قالوا كبراءة الذئب من دمه.

***

باقي الآيات المباركة المتعرضة لأحسن القصص التي تنقل تفاصيل الواقعة

الآية الثالثة : ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ سورة يوسف: الآية 24.

نؤجل الحديث عنها قليلاً، وسنعقد لها فصلاً خاصاً بها، لأنها موضع الأخذ والرد، حتى نتبينها أكثر، ونستطيع أن نستوعبها بصورة أدق.

***

الآية الرابعة : ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ سورة يوسف: الآية 25.

واســتبقا الباب، إذ كان أحدهما مصرّاً على رفض هــذا العمل، ويريد أن يتخلص منه بأي صورة، وإلا لما حدث هذا الإستباق.

فهل هو هي أم هو هو؟!

وقدَّت قميصه من دبر، أليست هذه قرينة واضحة بأنه كان يجري إلى الباب ليتخلص من هذا الحصار الذي أقيم عليه، وهي لا زالت مصرّة على فعلها؟!

وبهذا الوضوح نرى أن ما أشارت إليه لســيدها على الباب محض افتراء وبهتان.

فهذا شاهد آخر.

***

الآية الخامسة: ﴿**قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ**﴾ سورة يوسف: الآية 26.

وهنا يتجلى اعتراف نبي الله صادقاً قال هي راودتني عن نفسي، بالإضافة لذلك الشــاهد الذي أياً كان فليكن، إن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِــن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ؛ ونحن نعلــم جزماً بأن قميصه ما قُدَّ من قُبُــلٍ، فإذاً هو ليس من الكاذبين.

وهذا دليل آخر.

***

الآيــة السادســة: ﴿**وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِــن دُبُرٍ فَكَذَبَــتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ**﴾ سورة يوسف: الآية 27.

وهذا شاهد صدق آخر في آية أخرى.

***

الآية السابعة: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ سورة يوسف: الآية 28

وهنا تتجلى شهادة شاهد كان أقرب الناس من الواقعة زماناً، ومكاناً وقُربىً، فمالنا كيف نحكم؟!

شاهَدَ دليلَ البراءة بعينه، وقد تحسسه قبل ذلك بصدق ذلك الفتى الذي اشتراه هو لامرأته، وقد عاش معهما قريباً منهما، فهو أعلم بكل واحدٍ منهما من غيره، لذلك حكم بذلك الحكم القاسي نوعا ما، لا عليها فقط بل على جنسها كله ونسب كل ذلك إلى كيدهنَّ، ثم وصف ذلك الكيد بعد أن وكده بالعظمة.

فما أشدّ ما كان يختلج في داخله من صراع في تلك اللحظات الحساسة.

ولشعوره التام ببراءة هذا الفتى المستضعف جاءت الثامنة.

***

الآية الثامنة: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ﴾ سورة يوسف: الآية 29.

لنتبين ذلك الخطاب الهادئ الذي وجهه ليوسف الصدِّيق يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا، ولو كان قد شاهد أدنى أثر على إقبال يوسف لا سامح الله تعالى، على أي أمر مشين لما كان موقفه منه هذا الموقف الوادع، وصراحته الواضحة أمامهما من كون الذنب ذنبها مستقلاً، لأنه توجه إليها بالخطاب دونه فقال لها وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ، ولم يُشركه بالإستغفار ولا طلب منه الإستغفار، فلو شاهد أي أثر لِما يقولون من تصرف في ملابسه النظيفة، لأشار إلى ذلك ولو من بعيد، لأنه لو كان لبان له بكل وضوح لشدة الموقف وازدحامه، وقصره بين الإقدام وبين التسابق والمقابلة، فكما التفت إلى شق القميص من جهة، لالتفت إلى تحرك بقية الملابس من مكانها، أو عدم ترتيبها

وتناســقها بلحاظ آخر، ولكــن لأن كل ذلك ما كان ما شــاهد إلا آثار جريمة صاحبة الجريمة وهو واضح في كلامه بأعلى مراتب الوضوح.

***

الآية التاسعة: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ سورة يوسف: الآية 30.

ووضح الصبح لكل ذي عينين لذا قالت النسوة ذلك؛ وهو شاهد آخر من رب العزة على براءة يوسف على نبينا وآله وعليه السلام.

***

الآية العاشرة: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ سورة يوسف: الآية 31.

فلاحظ هــذه الآية المباركة لتتمعــن في آيات الله أكثر لتــر كيف أن الله ســبحانه يريد بكلمات مختصرة إراءة بــراءة ذلك الفتى الطاهــر من مختلف الألسن وممن هو أقرب الناس إليه ممن شاهده، أو سمع عنه، إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ.

ولو دخلنا إلى عمق الكلمات أكثر لَرأينا العجب، ولا تعجب، لَرأينا أنهنَّ قد نفين عنه كل شئ وأثبتن له المَلَكيّة مع الكرامة، ونحن نعلم من أن المَلَكَ لا يختلج بنفسه شئ من القذارة ولا السوء، ولا من صفاته الشهوة ولا الكبوة، ولو كان في قلب يوسف أي سوء ولو لم يُظهره لأشار إليه الباري تكذيبا لِقولِهنَّ أو تضعيفاً، أو لم ينقله على أقل تقدير مع توكيده، ومن هذه الملاحظة نرى أنه لم يختلج في قلبه عليه السلام أي إقدام نفسي لها طبيعيا كان أو غيره، وبهذا تبطل كل أوصاف مَن أتعب نفسه وأضاع وقته ووقت الآخِرين بخيالاتٍ ما أنزل الله

بها من سلطان، قايساً نبياً قد اختاره الله واصطفاه مع نفسه الأمارة بالسوء لو ابتلي بمثل موقفه.

***

الآية الحادية عشرة: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ سورة يوسف: الآية 32.

وهذا اعتراف آخر منها على مراودتها له إلا أنه استعصم، لم تقل بأنه اعتصم، بل تمانع بشدة عنها وزيادة الأحرف يقولون لزيادة المعاني، فلو أقبل إليها أولاً ثم امتنع لقالت لهنَّ ذلك وهي في مقام الشرح والبيان لهنَّ فانتبه لخفايا الحديث، فإذاً ما يقولونه من أنه فعل كذا وكذا ويروونه ليس صحيحاً البتة لهذه الدلائل والبينات.

***

الآية الثانية عشرة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ سورة يوسف: الآية 33.

فهوالذي اختار السجن على الحرية، لا لشيء بل ليتخلص من مكرهن، لأنه بعد أن كانت واحدة، وتمشي بخفاء، انقلبت إلى مجموعة من الطامعات، على الظاهر المكشوف، فأراد أن يبتعد عنهنَّ في مكان لا يستطعن الدخول إليه ليتخلص من مكرهن، وهو العبد المخلص لله وحده لذا نراه وقت الشدة يلتجأ اليه وحده، فالتجأ إليه بل انقطع انقطاع عبودية وذل ومسكنة وافتقار مطلق، وأظهره بقوله وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ.

فإذاً هو لم يكن لحدِ هذه اللحظات من الجاهلين، ولو كان كما قالوا من أنه تهيأ لفعل المنكر بل اقترب اقترابا يندى له الجبين لما قال كل هذا الآن كما هو واضح.

***

الآية الثالثة عشرة: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ سورة يوسف: الآية 34.

فإذاً قد استجاب البارئ لعبده فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ، لا أنه سبحانه صرفه عن المنكر بل صرف عنه كيدهن فلاحظ.

ثم لاحظ قوله تعالى لتعرف براءة يوسف الصديق ظاهرا وباطنا لان الله مطلع على ذلك كله إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

ثم نأتي لبقية الآيات الكريمة التي في سياق هذا الجزء الحساس من القصة:

***

الآية الرابعة عشرة: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾ سورة يوسف: الآية 50.

فهنا نلاحظ أن الله سبحانه وكأنه يريد بيان براءة يوسف في كل آية من آيات كتابه التي تتعرض لهذه الفترة الدقيقة علماً منه سبحانه بما سيلفقونه من اقوال وأكاذيب حول هذا المقطع الحساس من حياة نبينا يوسف على نبينا وآله السلام، ففي هذه الآية بيان واضح لما كان للنسوة من مكر وكيد وحيلة للإيقاع بالصديق الفتى الطاهر، فأوضح الصديق وأوجز ووكد بأفضل بيان إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ.

وهذه شهادة أخرى للصديق، ولو كان منه أدنى إلتباس ومساس لذكر، ولما أثبت براءته أمام الذي لا تخفى عليه خافيه أمام الله تعالى علام الغيوب الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وهو أصدق القائلين.

***

الآية الخامسة عشـــرة: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ سورة يوسف: الآية 51.

وهذا أخذ إقرار منهن على ما فعلن بلسان امراءة العزيز نفسها.

قال ما خطبكن؟

نســب الخطب لهن ولم ينسبه إليه، ونســب المراودة لهنَّ بأجلى صورة. فماذا كان جوابهن؟!

﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ﴾.

فإذاً لم يكن عليه أي ســوء وباعترافهن، وما وصفوه قبل رؤية البرهان من حاله هو السوء بعينه، فإما أن نكذب كتاب الله سبحانه أو نكذب ما نقلوه وهو المتعين.

ثم انظر لجــواب امراءة العزيز ودقق فيــه ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

فهو مــن الصادقين في كل شــئ قالــه أو فعله في هــذه القصة، وما قال إلا الحــق، وما فعل إلا الخيــر، وهذا كلامه موجود وجلــي في كتابه سبحانه.

* * *

الآية السادســة عشــرة: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ سورة يوسف: الآية 52.

فهي قدمــت ذنبهــا ووضحته، وقدمت بنفــس الوقت براءة يوســف في أصدق كلام لها، وبينت هنا ما آلت إليه الأمور من بدايات انقلابها نحو الطريق

الصحيح، وهو واضح كل الوضوح في ختام هذه الآية المباركة إذ شعرت بوجود الله تعالى، بل علمت من صفاته ما عصمها من الخيانة تارة أخرى بعد الأولى بقولها ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.

* * *

الآية السابعة عشرة: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة يوسف: الآية 53.

وهو واضح وضوح الشمس أنه من كلام زليخا وليس كما قال بعضهم إنه ليوسف عليه السلام أبدا، وذلك للسياق الظاهر في كونه من كلامها وللترتيب وهي في مقام الإعتراف.

وإن قلت نهاية الآية بعيد عن كلامها هذا الذي سمعناه، وهو قريب من كلامه على نبينا وآله وعليه السلام.

قلنا هذا الذي نرى هو بداية طريقها الى الله الذي نشأ في داخلها من تأثير موقف يوسف الصلب في عقيدته عليها مع طيب سيرته، لذا جاء اعترافها وكأنها تريد تبرير معصيتها، ونرى أثر تلك السيرة في حياتها بعد تلك المعاناة واضحة وجلية، حتى بالكلام السابق على ما في هذه الآية المباركة وهو بلا ريب ولا شك من كلامها، وهو كما ذكر تعالى إخبارها، بل توكيد ذلك الإخبار بأن الله لا يهدي كيد الخائنين.

وهنا أبرزت توكيد المغفرة والرحمة له تعالى ليغفر لها ويرحمها، وبهذه الدقة من اللطف، كأنه سبحانه يُشعرنا أنها رجعت إليه ؛ فما أروع سيرة الأنبياء!!

والذي يقول من أنه من كلام الصديق أنّى له أن يثبت ذلك؟!

مع العلم أن الصديق كما هو ظاهر الكلام لم يكن موجوداً عندها في ظرفه

بينهم، وإلا لا معنى لقولها وليعلم أني لم أخنه بالغيب، فالتفت واغتنم.

❊ ❊ ❊

بعد الخوض في هذه الآيات المباركة لنرجع إلى الاية الثالثة لنستوعب ما جاء فيها، لتكون هي الشاهد الأخير والحاسم في هذه الواقعة.

الفصل الثاني

الآية الثالثة :

﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ سورة يوسف: الآية 24.

وهذه الآية هي موضع الجدال والحوار، التي نسج بعضهم في شرحها من خياله ما يندى له الجبين وتقشعر له الأبدان.

والمصيبة كلها في الفعل (همّ).

فما هو هذا الفعل وما معناه في لغة العرب؟!

وقبل ذلك لِننظر ماذا قال المفسرون لكتاب الله تعالى في معناه، لنتبين مدى إصابتهم فيما قالوا، وهل غيّروا بذلك معنى هذه اللفظة من حيث يدرون ولا يدرون؟!

فإذاً البحث سيكون في عدّة أقسام:

الأول منها: ماذا قال المفسرون لكتاب الله تعالى في معنى هذه الكلمة بالذات، وماذا بنوا بعد ذلك على ذلك، ونحاول معرفة هل إنهم أصابوا فيما قالوا وفسروا حتى بناءاً على ما أوردوه من معناها أم لا.

والقسم الثاني: الكلمة باستعمالات أهل البيت عليهم السلام.

وأما **القسم الثالث** : فنتحدث فيه عن معنى هذه اللفظة لغوياً، ولو بالرجوع إلى ما أورده المفسرون أنفسهم في كتبهم. ونقسمه إلى مرحلتين، **فبالأولى** معنى الفعل **والثانية** بماذا تعلق.

ثم نلحق بكل هذا **قسماً رابعاً** في الكلام حول (لولا).

ونتمه بمعرفة (البرهان) في كلمات آل البيت عليهم السلام، **كقسم خامس**.

القسم الأول :

ماذا قال المفسرون لكتاب الله تعالى في معناه؟

يقول ابن جرير الطباري في «جامع البيان في تأويل آي القرآن»:

ومعنى الهم بالشـــيء في كلام العرب: «حديث المرء نفسه بمواقعة، ما لم يواقع».

ويقول الصابوني من : ان التعبير هذا يحمل معه ميلاً من يوسف «بالنزول عند رغبتها كحديث نفس، دون عزم وقصد مبين».

وكأنه قد أخذه من السابقين من أمثال الفخر الرازي في مفاتيح غيبه حيث يقول:

«الهمُّ خطورُ الشيء بالبال، أو ميلُ الطبع، كالصائم في الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسُه على الميل إليه وطلب شربه، ولكنْ يمنعه دينُه عنه.

﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ جوابه محــذوفٌ أي لولا حفظ الله ورعايتُه ليوســف، وعصمتُه له لخالطها وأمضى ما حدثته نفســه به، ولكنَّ الله عصمه بالحفظ والتأييد فلم يحصل منه شيءٌ البتَّة».

إذا كان الهــمّ هذا معناه، وهناك محذوف، وللمذكــور قابلية أن يدل على المحذوف، فلماذا نصرف عنه الوجه ؟

فهل يدل على المحذوف حينئذٍ إلا المذكور؟

فالجملة أساسا ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾، ولا يمكن أن تكون جملة (هم بها) جــواب لولا لأنه لا يجوز تقديم جواب لولا عليها - وهو رأي لأحد المدرســتين العربيتين-، ولكن لهذه الجملة المتقدمة قابلية الدلالة على المحذوف كما هو معروف، فلذا ســيكون جواب لولا هو (هم بها) تدل عليها الجملة المذكورة، وحينئذٍ ليس لنا أن نقدر جملة أخرى تبرعاً.

وعلى ما بينه الفخر الرازي في تفسيره سيكون معنى الجملة : لولا أن رأى برهان ربه هــم بها، ومعنى ذلك أنه لولا أن رأى برهــان ربه لَخطر متعلق الهم بباله ولخطر بطبعه، لا ما ذكره من المخالطة والإمضاء، فبعد هذا البيان القراني من أين له هذا الخطور في نفس يوسف ؟! لأنه لم يخطر ذلك بباله أصلاً ببيان القران، وبتفسيره للهمِّ وتحديده له، فالتفت تغنم.

هذا على مبنى الرازي وخطاه.

نعم ما ذكره يكون مطابقاً لتفســير الهم بحسب ما مال إليه صاحب المنار (إذ الهمّ مقاربة الفعل المتردد فيه) عنده كما صرح بذلك في مطاوي بحثه، ومع هذا فهنا أيضاً لا يتم ذلك بالدقة، وذلــك لأنه لولا رؤيته البرهان لَقارب الفعل أي قارب إرتكابه، فأيضاً ليس فيه مواقعة الفعل.

والواقع ان أغلب المفسرين وقعوا في هذا، وأُخِذوا مِن هنا، مع جلالة قدر أغلبهم، وطول باعه، فانتبه إليه لكي لا تقع في مثله.

هذا لو سلَّمنا أن متعلق همّها كمتعلق همّه، وهذا أول الحديث.

وأما تفســير البيضــاوي فيقول فيه صاحبــه : «ولقد همت بــه وهم بها، وقصدت مخالطته وقصد مخالطتها، والهم بالشــيء قصــده والعزم عليه، ومنه الهمّام وهو الذي إذا همّ بالشيء أمضاه.

والمراد بهمه عليه الصلاة والســلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد

الاختياري، وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم، أو مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم أخف الله». ويزيد عليه بعده سيد قطب في ظلاله حيث يقول:

«ويوسف.. العبد الصالح - الإنسان - لم يزور الأداء القرآني في شخصيته الإنسانية لمحة واحدة، وهو يواجه الفتنة بكل بشريته - مع نشأته في بيت النبوة وتربيته ودينه - وبشريته مع نشأته وتربيته ودينه تمثل بمجموعها واقعيته بكل جوانبها..

لقد ضعف حين همت به حتى هم بها، ولكن الخيط الآخر شده وأنقذه من السقوط فعلا.

ولقد شعر بضعفه إزاء كيد النسوة، ومنطق البيئة، وجو القصور، ونسوة القصور أيضاً! ولكنه تمسك بالعروة الوثقى..

ليست هنالك لمحة واحدة مزورة في واقعية الشخصية وطبيعتها، وليس هنالك رائحة من مستنقعات الجاهلية ووحلها الفني! ذلك أن هذا هو الواقع السليم بكل جوانبه..».

ثم يقول بعد ذاك بعد قوله والان نواجه النصوص في الدرس الثاني من الوحدة الثانية 21 - 34 أو الحلقة الثانية من حلقات القصة:

«لقد حصر جميع المفسرين القدامى والمحدثين نظرهم في تلك الواقعة الأخيرة، فأما الذين ساروا وراء الإسرائيليات فقد رووا أساطير كثيرة يصورون فيها يوسف هائج الغريزة مندفعا شبقا، والله يدافعه ببراهين كثيرة فلا يندفع!

صورت له هيئة أبيه يعقوب في سقف المخدع عاضا على أصبعه بفمه!

وصورت له لوحات كتبت عليها آيات من القرآن - أي نعم من القرآن! - تنهي عن مثل هذا المنكر، وهولا يرعوي!

حتى أرسل الله جبريل يقول له: أدرك عبدي، فجاء فضربه في صدره.. إلى آخر هذه التصورات الأسطورية التي سار وراءها بعض الرواة وهي واضحة التلفيق والاختراع!

وأما جمهور المفسرين فسار على أنها همت به هم الفعل، وهم بها هم النفس، ثم تجلى له برهان ربه فترك.

وأنكر المرحوم الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار على الجمهور هذا الرأي. وقال : إنها إنما همت بضربه نتيجة إبائه وإهانته لها وهي السيدة الآمرة، وهم هو برد الاعتداء، ولكنه آثر الهرب فلحقت به وقدت قميصه من دبر..

وتفسير الهم بأنه هم الضرب ورد الضرب مسألة لا دليل عليها في العبارة، فهي مجرد رأي لمحاولة البعد بيوسف عن هم الفعل أو هم الميل إليه في تلك الواقعة. وفيه تكلف وإبعاد عن مدلول النص.

أما الذي خطر لي وأنا أراجع النصوص هنا، وأراجع الظروف التي عاش فيها يوسف، في داخل القصر مع هذه المرأة الناضجة فترة من الزمن طويلة، وقبل أن يؤتى الحكم والعلم، وبعدما أوتيهما..

الذي خطر لي أن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾..

هو نهاية موقف طويل من الإغراء، بعدما أبى يوسف في أول الأمر واستعصم..

وهو تصوير واقعي صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة والضعف، ثم الاعتصام بالله في النهاية والنجاة..

ولكن السياق القرآني لم يفصل في تلك المشاعر البشرية المتداخلة المتعارضة المتغالبة، لأن المنهج القرآني لا يريد أن يجعل من هذه اللحظة معرضا يستغرق أكثر من مساحته المناسبة في محيط القصة، وفي محيط

الحياة البشـــرية المتكاملة كذلك. فذكر طرفي الموقـــف بين الاعتصام في أوله والاعتصام في نهايتـــه، مع الإلمام بلحظـــة الضعف بينهمـــا، ليكتمل الصدق والواقعية والجو النظيف جميعا.

هذا ما خطر لنا ونحن نواجه النصوص، ونتصور الظروف. وهو أقرب إلى الطبيعة البشـــرية وإلى العصمة النبوية. وما كان يوسف سوى بشر. نعم إنه بشر مختار. ومن ثم لم يتجاوز همه الميل النفسي في لحظة من اللحظات، فلما أن رأى برهان ربه الذي نبض في ضميره وقلبـــه، بعد لحظة الضعف الطارئة، عاد إلى الاعتصام والتأبي. ﴿**كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ**﴾.». إنتهى.

مع العلم إنه يقول قبل ذلك مباشرة :

«والنـــص هنا صريح وقاطع في أن رد يوســـف المباشـــر علـــى المراودة السافرة كان هو التأبي، المصحوب بتذكر نعمة الله عليه، وبتذكر حدوده وجزاء من يتجاوزون هذه الحدود. فلم تكن هناك اســـتجابة في أول الموقف لما دعته إليه دعوة غليظة جاهزة بعد تغليق الأبواب، وبعد الهتاف باللفظ الصريح الذي يتجمل القرآن في حكايته وروايته : (وقالت: هيت لك).». انتهى.

فمن أين له أن أحاسيسه قد تغيرت وتبدلت بلحظات ؟!

وإذا لم يؤثر هذا الموقـــف الطويل من الإغراء على حـــد قوله، كيف أثر بلحظات قليلة بعدها ؟

وهو يشهد بأنه كان واعياً ومتذكراً.

فإذا كان الإغراء فمن أول الأمر كان، وإن لـــم يكن مؤثراً إلى الآن فلماذا يؤثر هذا التأثير السريع عليه مع إنه قد تذكر الله واستعاذ به؟!

وهل من يستعيذ بالله استعاذة صادقة لا لسانية فارغة يكون أبعد عن الحق، بعد أن كان قبلها من الصادقين، وقد تأبى مصحوباً هذا التأبي (بتذكر نعمة الله

عليه، وبتذكر حدوده وجزاء من يتجاوزون هذه الحدود)، على حد قوله ؟!.

ما لنا كيف نحكم ؟!

المهم إنه يضيف على ذلك : «قوله تعالـــى: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾: إنّ يوسف إنجرّ إلى حافّة الهاوية في الصراع بين الغريزة والعقل، ولكن فجأةً ثارت قوّة الإيمان والعقل وهزمت طوفان الغريزة.».

وقد رد على إنكار الشـــيخ رشيد رضا في تفســـير المنار عندما أنكر على الجمهـــور رأيهم إذ قال : إنها إنمـــا همت بضربه نتيجة إبائـــه وإهانته لها وهي الســـيدة الآمرة، وهمَّ هو برد الاعتـــداء، ولكنه آثر الهـــرب فلحقت به وقدت قميصه من دبر.. بقوله : «وتفســـير الهم بأنه هم الضرب ورد الضرب مسألة لا دليل عليها في العبارة، فهي مجرد رأي لمحاولة البعد بيوسف عن هم الفعل أو هم الميل إليه في تلك الواقعة. وفيه تكلـــف وإبعاد عن مدلول النص.» كما مر عليك.

فهل هـــذا الذي جاء بـــه هو من مدلـــول النص، أم هو عبـــارة عن تصور شخصي له لتلك الدقائق الحرجة؟!

وهو يعترف بذلك علناً حيث مر عليك قوله «هذا ما خطر لنا ونحن نواجه النصوص، ونتصور الظروف.

وهو أقرب إلى الطبيعة البشرية وإلى العصمة النبوية.

وما كان يوسف سوى بشر؟!

نعم إنه بشـــر مختار. ومن ثم لم يتجاوز همه الميل النفسي في لحظة من اللحظات، فلما أن رأى برهـــان ربه الذي نبض في ضميـــره وقلبه، بعد لحظة الضعف الطارئة، عاد إلى الاعتصام والتأبي.».

وإذا دققت بعبارته رأيته عبارة عن رأي شـــخصي منه، لا علاقة له بالنص، بل أقحم النص على هذا التصور، وجعله في قالبه، كما تشهد كلماته بذلك.

وربما لا أعجب لهذا المفسر الذي ما عرف أهل البيت عليهم السلام ولا تفاسيرهم، ولا اطَّلع على رواياتهم، وإن كان بعضها قد ذُكِر في بعض المصادر التي يعتمد عليها أهل التفسير من علماء السنة، ولكنها ربما اختفت عليه ولم يقع نظره عليها فوقع منه ما وقع، ولكن عجبي ممن كاد يتفق رومانسياً وإخراجاً مع هذه الكلمات التصورية الخالية من الحقيقة النبوية، والصفات المصطفاة لأنبياء الله تعالى، ولِمَن آتاه الله العلم والحكم عند بلوغه واشتداد عظمه بالخصوص، فسار على خطاه ؛ حيث قال في تفسيره (من وحي القران):

«﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ في حالة شعورية طبيعية، يتحرك فيها الإنسان غريزياً من دون تفكير، لأنّ من الطبيعي لأيّ شاب يعيش في أجواء الإثارة أن ينجذب إليها، تماماً كمن تتحرك غريزة الجوع في نفسه بكل إفرازاتها الجسدية عندما يشمّ رائحة الطعام، وهذا أمر يلتقي فيه المؤمن بغير المؤمن، لأنه من شؤون الإحساسات الغريزية للجسد، ولكن القضية تتناول الموقف الذي يحدّد للإنسان شخصيته من مواقع الإيمان والالتزام، أو مواقع الكفر والانفلات. وهكذا نتصور موقف يوسف، فقد أحسّ بالانجذاب نحوها لا شعورياً، وهمّ بها استجابةً لذلك الإحساس، كما همّت به، ولكنه توقّف وتراجع، ورفض الحالة بحزم وتصميم، لأن موقفه ليس متعمداً، كما هو موقفها، ليندفع به نحو النهآية، كما اندفعت هي، ولكن انجذابه الجسدي كان يشبه التقلص الطبيعي، والاندفاع الغريزيّ.

الموقف اليوسفي:

إنها لحظةٌ من لحظات الإحساس، عبرّت عن نفسها ثم ضاعت وتلاشت أمام العقيدة الراسخة، والقرار الحازم المنطلق من حساب دقيق لموقفه من الله لو أطاع إحساسه، وهذا ما عبّر عنه قوله تعالى : ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ في ما تعنيه كلمة البرهان من الحجة في الفكرة التي توضح الرؤية، وتكشف حقيقة الأمر، فيحسّ بعمق الإيمان أنه لا يملك آية حجةٍ في ما يمكن أن يُقدم عليه، بل الحجة كلها لله.

وربما كان جوّ هذه الآية هو جوّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ سورة الأعراف: الآية 201، وقد نستوحي ذلك من مقابلة كلمة ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾.

لكلمة : ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ فقد اندفعت إليه بكل قوّة وضراوة واشتهاء، فحركت فيه قابلية الاندفاع، وكاد أن يندفع إليها لولا يقظة الحقيقة في روحه، وانطلاقة الإيمان في قلبه، وبذلك كان الموقف اليوسفيّ، انجذاباً وتماسكاً وتراجعاً مستوحىً من الكلمة ومن الجوّ الذي يوحي به السياق معاً.». إنتهى ما صرح به العلامة السيد محمد حسين فضل الله في تفسيره.

بدليل أنه قد فسر الهم قبل ذلك بالمفردات بأنه : العزم على الفعل.

وهذا الرأي وإن كانت كلماته منمقةً أكثر، ومتناسقة بشكل يوحي أنَّ هذا هو ما وقع وصار في ذلك اليوم بالضبط، وإن كنتَ قد عرفت ما فيه وستأتيك زيادة بيان، فهو رأيٌ أعجب من صاحبه، فإذا قصد مخالطتها كما صُرِّحَ بهذا أولاً، بل بَيَّنهُ بالعزم شرحاً للمفردة، كيف تخلف عن ذلك في الأسطر التالية وقال إن المراد بهمه عليه الصلاة والسلام ميل الطبع، وتحرك الغريزة أو ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري، فهل القصد معناه في اللغة إلا الإقدام بالإختيار، فكيف قد جعله بميل الطبع، وعرَّفه بمنازعة الشهوة من دون اختيار؟!

وأما الموقف اليوسفي فله حديث آخر، سنوافيك به لاحقاً إن شاء الله تعالى.

وقد قال البغوي في تفسيره:

(ولقد همت به وهم بها، والهم هو: المقاربة من الفعل من غير دخول فيه.

فهمها: عزمها على المعصية والزنا.

وأما همه: فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن.

وعـــن مجاهد قال : حل ســـراويله وجعـــل يعالج ثيابه، وهـــذا قول أكثر المتقدمين مثل سعيد بن جبير والحسن.

وقال الضحاك : جرى الشـــيطان فيما بينهما فضرب بإحدى يديه إلى جيد يوسف وباليد الأخرى إلى جيد المرأة حتى جمع بينهما.

قال أبوعبيد القاسم بن ســـلام : وقد أنكر قوم هذا القول ؛ والقول ما قال متقدموا هذه الأمة، وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الأنبياء عليهم السلام من غير علم.

وقال السدي وابن إســـحاق : لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عليه السلام عن نفسه جعلت تذكر له محاســـن نفسه وتشوقه إلى نفسها، فقالت : يا يوسف ما أحسن شعرك!.

قال: هو أول ما ينتثر من جسدي.

قالت: ما أحسن عينيك !

قال: هي أول ما تسيل على وجهي في قبري.

قالت: ما أحسن وجهك !

قال: هو للتراب يأكله.

وقيل: إنها قالت: ....كذا....

قال: إذا يذهب نصيبي من الجنة.

فلم تزل تطمعه وتدعوه إلي اللذة، وهو شـــاب يجد من شـــبق الشباب ما يجده الرجل، وهي امرأة حسناء جميلة، حتى لان لها مما يرى من كلفها، وهمَّ بها، ثم إن الله تعالى تدارك عبده ونبيه بالبرهان الذي ذكره.

وزعم بعض المتأخرين : أن هذا لا يليق بحال الأنبياء عليهم السلام.

وقال : تم الكلام عنـد قوله : ولقد همت به، ثم ابتدأ الخبر عن يوسـف عليه السلام فقال: وهم بها لولا أن رأى برهان ربه، على التقديم والتأخير، أي : لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، ولكنه رأى البرهان فلم يهم.

وأنكره النحاة، وقالوا : إن العرب لا تؤخر لولا عن الفعل، فلا تقول : لقد قمت لولا زيد، وهو يريد لولا زيد لقمت.

وقيل: همت بيوسف أن يفترشها، وهم بها يوسف أي : تمنى أن تكون له زوجة.

وهذا التأويل وأمثاله غيـر مرضية لمخالفتها أقاويـل القدماء من العلماء الذين يؤخذ عنهم الدين والعلم.». إنتهى.

فأي علمٍ ؟! وأي دينٍ هذا ؟!

هل منهما : قول الضحاك «جرى الشـيطان فيما بينهمـا فضرب بإحدى يديه إلى جيد يوسـف وباليد الأخرى إلى جيد المرأة حتى جمع بينهما.» الذي تضحك منه حتى الثكلى؟!

فأي نبي هذا الذي يسـيطر عليه إبليس بحيث يسـحبه مـن جيده وهو لا يستطيع ردعه؟

ومتى كان لإبليس هذه السـيطرة المادية والقدرة بسحب الأشياء حتى لو كان المسحوب نبياً محسوباً على الله؟!

فما أتعس المرسل والمرسل إليهم حينئذٍ !!

ويصدر ممّن يسميهم الناس علماءاً هذا القول، والله في محكم كتابه يقول في خطابه لإبليـس : ﴿**إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ**﴾ سورة الحجر: آية : 42.

ويقول : ﴿**إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩**

﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾ سورة النحل آية 99 – 100.

ويقول في خطابٍ آخر له ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ سورة الإسراء: آية 65.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الفريقين:

«إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط».

هذا إذا جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف إذا جاء عن صحابي أو تابعي، وهو يُعارِضُ كتاب الله؟!

وكيف يؤخَذ الدين والعلم من أقاويل هؤلاء القدماء من العلماء وهي تخالف صريح القران، ونحن بعملنا حينئذٍ نخالف صريح السنة؟!

وأما بقية الأقوال فستعلم صدقها أو كذبها بعد حين.

ثم قوله وأنكر النحاة ذلك، نقول له ولأمثاله ممن يكررون هذا القول ظانين من أنهم جاءوا بشيء لم يلتفت إليه قائل هذا القول : إنه لا يدعي أن المذكور هو بنفسه الجواب، بل المذكور ما هو إلا دليل على المحذوف، وليس هذا بِدعاً في لغة العرب وضربوا أمثالاً كثيرة لذلك.

بل ذهب بعضهم إلى جواز ذلك كما سيأتيك، فانتظرْ.

«وقال بعضهم – ولا زال الكلام للبغوي في تفسيره – : «إن القدر الذى فعله يوسف عليه السلام كان من الصغائر، والصغائر تجوز على الأنبياء عليهم السلام.

روي أن يوسف عليه السلام لما دخل على الملك حين خرج من السجن وأقرت المرأة، قال يوسف : ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب. قال له جبريل:

هممت بها يا يوسف ؟ فقال يوسف عند ذلك : وما أبّرئ نفسي الآية.

وقال الحسن البصري : إن الله تعالى لم يذكر ذنوب الأنبياء عليهم السلام في القرآن ليعيرهم، ولكن ذكرها ليبين موضع النعمة عليهم، ولئلا ييأس أحد من رحمته.

وقيل: إنه ابتلاهم بالذنوب لينفرد بالطهارة والعزة، ويلقاه جميع الخلق يوم القيامة على انكسار المعصية.

وقيل : ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء وترك الإياس من المغفرة والعفو.

وقال بعض أهل الحقائق : الهم همان: هم ثابت، وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضى، مثل هم امرأة العزيز، والعبد مأخوذ به، وهم عارض وهو الخطرة، وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم، مثل هم يوسف عليه السلام، فالعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد محمش الزيادي، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل : إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له، ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها.

قوله عز وجل : لولا أن رأى برهان ربه، اختلفوا في ذلك البرهان : قال قتادة وأكثر المفسرين : إنه رأى صورة يعقوب، وهو يقول له : يا يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء!.

وقال الحسن وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : مثل له يعقوب عليه السلام فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله.

وقال السدي : نودي يا يوسف تواقعها! إنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جوف السماء لا يطاق، ومثلك إن..كذا.. مثله إذا مات ووقع على الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق، ومثلك إن..كذا.. مثل الثور يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفعه عن نفسه.

وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : وهم بها قال: حلَّ سراويله، وقعد منها مقعد الرجل..كذا.. فإذا بكفٍ قد بدت بينهما بلا معصم ولا عضد مكتوب عليها ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ سورة الانفطار، فقام هاربا وقامت؛

فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد، فظهرت تلك الكف مكتوبا عليها: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ سورة الإسراء: آية 32 فقام هاربا وقامت؛

فلما ذهب عنهما الرعب، عادت وعاد فظهر، ورأى تلك الكف مكتوبا عليها ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ سورة البقرة: آية 281.

فقام هاربا وقامت ؛

فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد، فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام : أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحط جبريل عليه السلام عاضا على أصبعه، يقول : يا يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء.». إنتهى.

فما أشد شهوة يوسف حينئذٍ!

وما أبعده عن الله وهولا يرتدع بهذه القوارع والآيات!.

وأتعسُ الناس حظاً لو ابتلي بما ابتلي به يوسف ورأى ما رأى لامتنع واستعصم من أول مرة، فكيف به وهو نبي من أنبياء الله.

ولذا لا نرى هذا إلا افتراءاً على الله وآياته، وتعدٍ على مقامات النبوة.

وناقل ذلك لا يمكن أن يوسَم بالعلم أبدا.

المهم إنه قال بعد ذلك «وروي أنه مســحه بحناحه فخرجت شــهوته من أنامله.»!!!!!

ثم تمّمَ : «وقال محمد بن كعب القرظي : رفع يوســف رأســه إلى سقف البيت حين هم بها فرأى كتابا في حائط البيت : لا تقربوا الزنى إنه كان فاحشــة وساء سبيلا.

وروى عطية عن ابن عباس : في البرهان أنه رأى مثال الملك.».

فهذه أقوال القوم في ذلك، ترى فيها مما لا يمكن التعليق عليه لأنه ظاهر الزيف والإفتراء.

وهذا يكشف على أن القوم وقعوا في حيص بيص.

وأغلب هذه الأقوال خالية مــن المعرفة بحال الأنبياء وصفاتهم، منبئةً عن الجهل والخيالات ممن يدعون العلم والدين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---- راجع كتابنا العصمــة، مفهومها، حقيقتها لِتجــدَ مدى صحة هذه الأقوال، إنطلاقاً من معرفة ماهية العصمة وحدودها. ---

ولتتضح الصورة أكثر، لأنه ربما يكون هــذا جلالاً واحداً، ننقل متعجبين عمّا جاء في تفسير الجلالين وهو ينفخ في نفس البوق : «ولقد همت به قصدت منــه.....، وهم بها قصد ذلك لولا أن رأى برهان ربــه ؛ قال ابن عباس مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله.

كذلك أريناه البرهان لنصرف عنه الســوء الخيانة، والفحشــاء الزنا إنه من عبادنا المخلصين في الطاعة وفي قراءة بفتح اللام أي المختارين.».

أقول : فانظر إلى أي مدى ظُلِمَ الأنبياء في تفاسير القوم ؟!

وكأنه كان في قلب يوسف الصديق عليه السلام ليسجل عليه أنه قصد..... أيضاً كما قصدته هي بقوله (وهمّ بها : قصد ذلك) وانظر لِمَن يعود ضمير الإشارة.

وإذا خرجت شهوته منه بعد أن أثبتها، وبثبوتها همّ على المعنى الذي ذكره، فأي كرامةٍ أبقاها بعد ذلك لهذا الصّديق الُمخلَص أو المخلِص بفتح اللام أوبكسرها، إذ أفجر الفجرة وأفسق الفسقة لو فُعِلَ هذا به لَتَرَكَ وابتعد؟!

فأيُّ الأقوال أحق بالأخذ به ؟! وأيها بالترك والإعراض أولى لو كانوا يعقلون؟!

فلماذا الإصرار على تلك التمثيليات، والأفلام الرخيصة المخزية؟!

ثم أورد بعد ذلك «قوله عز وجل : لولا أن رأى برهان ربه جواب لولا محذوف، تقديره : لولا أن رأى برهان ربه لواقع المعصية.

كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء، فالسوء : الإثم، وقيل : السوء القبيح، والفحشاء : الزنا.

إنه من عبادنا المخلصين، قرأ أهل المدينة والكوفة : المخلَصين بفتح اللام حيث كان إذا لم يكن بعده ذكر الدين، زاد الكوفيون مخلصاً في سورة مريم ففتحوا.

ومعنى المخلصين المختارين للنبوة، دليله: إنا أخلصناهم بخالصة (ص – 146).

وقرأ الآخرون بكسر اللام، أي: المخلِصين لله الطاعة والعبادة. إنتهى ما أردنا استعراضه، قبل أن ننقل ما جاء عن تفسير القرطبي.

قال القرطبي في تفسيره : «لولا أن رأى برهان ربه، ولكن لما رأى البرهان ما هم، وهذا لوجوب العصمة للأنبياء.

قال الله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾.

فإذاً في الكلام تقديم وتأخير، أي لولا أن رأى برهان ربه هم بها.

قال أبوحاتم : كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله: ولقد همت به وهم بها الآية، قال أبوعبيدة : هذا على التقديم والتأخير، أي همت زليخاء بالمعصية وكانت مصرة، وهم يوسف ولم يواقع ما هم به، فبين الهمتين فرق.

ذكر هذين القولين الهروي في كتابه. قال جميل:

هممت بهمٍّ من بثينة لو بدا شفيت غليلات الهوى من فؤاديا

آخر:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

فهذا كله حديث نفس من غير عزم.

وقيل : هم بها تمنى زوجيتها.

وقيل : هم بها أي بضربها ودفعها عن نفسه، والبرهان كفه عن الضرب، إذ لو ضربها لأوهم أنه قصدها بالحرام فامتنعت فضربها.

وقيل : إن هم يوسف كان معصية، وأنه جلس منها مجلس الرجل..كذا..، وإلى هذا القول ذهب معظم المفسرين وعامتهم، فيما ذكر القشيري أبونصر، وابن الأنباري والنحاس والماوردي وغيرهم.».

ثم قال : «قال القشيري أبونصر : وقال قوم جرى من يوسف هم، وكان ذلك الهم حركة طبع من غير تصميم للعقد على الفعل، وما كان من هذا القبيل لا يؤخذ به العبد، وقد يخطر بقلب المرء وهو صائم شرب الماء البارد، وتناول الطعام اللذيذ، فإذا لم يأكل ولم يشرب، ولم يصمم عزمه على الأكل والشرب لا يؤاخذ بما هجس في النفس، والبرهان صرفه عن هذا الهم حتى لم يصر عزماً مصمماً.

قلت : هذا قول حسن، وممن قال به الحسن.».

----- وأنت ترى : أولاً أن التفاسير الجديدة أخذت من القديمة ولم تزد عليه أي شئ، سوى تغيير الكلمات والتصوير الفني والإخراج.

مع أن الفرق بين الأمثلة المضروبة، وبين الحالة التي كان يوسف فيها واضح للمتبصر والمتفكر والمدقق، فتلك حالة طبيعية ليس فيها عيب ولا مساس بكرامة الشخص وعلوه، ومع هذا فالحالة تفترق من شخص لآخر، فكم من أشخاص لوجوبهوا بحالة تُحرك الطبيعة بداخلهم نرى التفاوت الواضح بينهم، وهذا مما لا يُمكن إنكاره.

فلماذا نحمّل عالي الهمة ومربي نفسه ومجاهدها بحيث لا تريد ولا تستأنس إلا بما يريده الله، ولا تنزعج إلا بما لا يريده، محققة أن يكون حتى هوى النفس في طاعة الله تعالى، وهذا ليس مستحيلاً وذلك لوروده في الطلب من الله تعالى أن يفعل الله تعالى بالمؤمن ذلك، إذ ورد في بعض الأدعية المشهورة : (**واجعل هواي تبعا لطاعتك**، وخذ رضا نفسك من نفسي، واهدني لما اختلف فيه من الحقّ بإذنك، إنّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) مصباح الزائر: ٣٩٧، البحار: ٩٩/ ٧٥، ح ١١، وغيرهما من كتب الأدعية، ولو كان مستحيلا لما جاء بلسان الدعاء.

فهذا إن كان يحصل للمؤمن العادي عند قبول دعائه، كيف لم يكن حاصلاً لأحد أوليائه وأنبيائه،وقد آتاه الله العلم والحكم عند اصطفائه؟!

وبهذا يظهر ما في ما سيأتي أيضاً.

قال ابن عطية : الذي أقول به في هذه الآية إن كون يوسف نبياً في وقت هذه النازلة لم يصح، ولا تظاهرت به رواية، وإذا كان كذلك فهو مؤمن قد أوتي حكماً وعلما، ويجوز عليه الهم الذي هو إرادة الشيء دون مواقعته، وأن يستصحب الخاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة، وإن فرضناه نبياً في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندي إلا الهم الذي هو خاطر، ولا يصح عليه شيء

مما ذكر من حل تكته ونحوه، لأن العصمة مع النبوة.

وما روي من أنه قيل له : (تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء) فإنما معناه العدة بالنبوة فيما بعد.

قلت : ما ذكره من هذا التفصيل صحيح، لكن قوله تعالى : وأوحينا إليه يدل على أنه كان نبياً على ما ذكرناه، وهو قول جماعة من العلماء، وإذا كان نبيا فلم يبق إلا أن يكون الهم الذي هم به ما يخطر في النفس ولا يثبت في الصدر، وهوالذي رفع الله فيه المؤاخذة عن الخلق، إذ لا قدرة للمكلف على دفعه، ويكون قوله : وما أبرئ نفسي

---- إن كان من قول يوسف ---- أي من هذا الهم، أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف، لمخالفة النفس لما زكي به قبل وبريء، وقد أخبر الله تعالى عن حال يوسف من حين بلوغه فقال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ على ما تقدم بيانه، وخبر الله تعالى صدق، ووصفه صحيح، وكلامه حق، فقد عمل يوسف بما علمه الله من تحريم الزنى ومقدماته، وخيانة السيد والجار والأجنبي في أهله، فما تعرض لامرأة العزيز، ولا أجاب إلى المراودة، بل أدبر عنها وفر منها، حكمة خص بها، وعملاً بمقتضى ما علمه الله.».

ثم قال : «وفي الصحيح : إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أوتكلم به وقد تقدم.

قال ابن العربي : كان بمدينة السلام إمام من أئمة الصوفية، - وأي إمام - يعرف بابن عطاء ! تكلم يوماً على يوسف وإخباره حتى ذكر تبرئته مما نسب إليه من مكروه، فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة فقال : يا شيخ ! يا سيدنا ! فإذاً يوسف همَّ وما تمّ ؟ قال : نعم ! لأنَّ العناية مِن ثم.

فانظر إلى حلاوة العالم والمتعلم، وانظر إلى فطنة العامي في سؤاله،

وجواب العالم في اختصاره واستيفائه، ولذلك قال علماء الصوفية : إن فائدة قوله : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾ إنما أعطاه ذلك إبان غلبة الشهوة لتكون له سبباً للعصمة.)..... (قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ (أن) في موضع رفع أي لولا رؤية برهان ربه والجواب محذوف لعلم السامع، أي لكان ما كان.)». إنتهى.

ورأي بن العربي هذا واضح في كتابه أحكام القران، فراجع.

وهذا القول ليس بدعاً في التفاسير، بعد ما تبين لك أن كثيراً من السلف يلتزم به.

وهذا أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري واحد منهم يقول في كشافه :

«فإن قلت: كيف جاز على نبي الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصد إليها؟!

قلت : المراد أن نفسه مالت إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه، ميلاً يشبه الهم به والقصد إليه، وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم؛ وهو يكسر ما به، ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم، ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هماً لشدته لما كان صاحبه ممدوحاً عند الله بالامتناع، لأن استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته. ولوكان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين.». إنتهى.

ولم يوافق أحد من علماء الخاصة كل هذه التفاسير التي هي لعلماء العامة إلا صاحب (من وحي القران) كما مر عليك.

ولكن عجبي لا ينقضي ممَّن يُسَلِّط الضوء على خلجات نفس نبي كريم، قد آتاه العلم والحكم فيرسمها بريشة فنان قدير على التصور، سابح بدنيا الخيال، زاعماً انه انجذب نحوها لا شعورياً، وهمّ بها استجابةً لذلك الإحساس، ويلمس هذا الإحساس ويتحسسه بأصابعه، بل يضع أنامله عليه، وكأنه يرى

ويســـمع حتى ضربات قلب الصديق وهي تضطرب ويكاد قلبه يتوقف، أي إنه عاش ولو للحظة واحدة عالم الوهم والخيال متحركاً بقوة الغريزة والشهوة، ثم بقدرة قادر أحسّ بالمطبِّ وبالهاوية فجمع قواه وتماســك ثمَّ اندفع منها هرباً، خوفاً من السقوط، لا هرباً من موقفٍ يريد تغييره.

وبذلك الرسم كان الموقف اليوسفيّ، «انجذاباً وتماسكاً وتراجعاً مستوحىً من الكلمة، ومن الجوّ الذي يوحي به السياق معاً» على ما أوحيَ إليهم.

ما أدرانا بكل هذا ؟!

وهذا إحســاس لا يمكن أن يمس مــن قريب ولا بعيد نفــس ذلك النبي الصدِّيق.

نعم الرسم البياني لهم يدلك على أنه رسم لخلجات مؤمن قد ابتلي بتلك اللحظات فخرج منها منتصراً.

ولو قالــوا إن كلمات القران تــدل على ذلك، أجبناهم مــن أن الكلمات نفسها تدل على معنى آخر، وهو أقرب لمعطيات الآيات السابقة واللاحقة كما رأينا وســنرى أكثر. ولو تنزلنا وقلنا إنهما متساويان فيجب تقديم الظهور الثاني وذلك لتوافقه مع كلمات آل البيت عليهم السلام، ومع أدلة العصمة المطلقة عقلاً ونقلاً.

فانتظر قليلاً لنستوحيَ من الكلمة نفسها بعد سبر معناها، ومن الجو الذي يوحي به السياق بعد الدخول فيه، ما فيه شفاء للصدور، عسى ألا تنزلق الأقدام، وحينئذٍ نرى أي الأجواء أقرب، وأي الخلجات أصوب من اللغة ونفس الكتاب لِقلب من آتاه الله تعالى علماً وحكماً وكيف همَّ بها.

ولم يبتعد عنهم كثيراً صاحب فتح القدير في فتحه إذ قال :

«ولقد همت به وهم بها يقال هم بالأمر : إذا قصده وعزم عليه.

والمعنى : أنه هم بمخالطتهــا كما همت بمخالطته، ومال كل واحد منهما إلى الآخر بمقتضى الطبيعة البشرية والجبلة الخلقية.

ولم يكن من يوسف عليه السلام القصد إلى ذلك اختياراً كما يفيده ما تقدم من استعاذته بالله، وإن ذلك نوع من الظلم.

ولما كان الأنبياء معصومين عن الهم بالمعصية والقصد إليها شطح أهل العلم في تفسير هذه الآية بما فيه نوع تكلف، فمن ذلك :

ما قاله أبوحاتم قال : كنت أقرأ على أبي عبيدة غريب القرآن، فلما أتيت على ولقد همت به وهم بها قال : هذا على التقديم والتأخير: كأنه قال : ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها.

وقال أحمد بن يحيى ثعلب : أي همت زليخا بالمعصية وكانت مصرة، وهم يوسف ولم يوقع ما هم به، فبين الهمين فرق، ومن هذا قول الشاعر:

هممت بهم من بثينة لوبدا شفيت غليلات الهوى من فؤاديا

فهذا إنما هو حديث نفس من غير عزم.

وقيل هم بها: أي هم بضربها.

وقيل هم بها بمعنى تمنى أن يتزوجها.

وقد ذهب جمهور المفسرين من السلف والخلف إلى ما قدمنا من حمل اللفظ على معناه اللغوي، ويدل على هذا ما سيأتي من قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب، وقوله وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء، ومجرد الهم لا ينافي العصمة، فإنها قد منعت العصمة عن الوقوع في المعصية، وذلك المطلوب.

وجواب لولا في لولا أن رأى برهان ربه محذوف : أي لولا أن رأى برهان ربه لفعل ما هم به.

واختلف في هذا البرهان الذي رآه ما هو؟

فقيل: إن زليخا قامت عند أن همت به وهم بها إلى صنم لها في زاوية

البيت فسترته بثوب، فقال: ما تصنعين؟

قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني على هذه الصورة.

فقال يوسف : أنا أولى أن أستحي من الله تعالى.

وقيل : إنه رأى في سقف البيت مكتوباً ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة الآية.

وقيل : رأى كفاً مكتوباً عليها وإن عليكم لحافظين.

وقيل : إن البرهان هو تذكره عهد الله وميثاقه وما أخذه على عباده.

وقيل : نودي: يا يوسف أنت مكتوب في الأنبياء وتعمل عمل السفهاء؟

وقيل : رأى صورة يعقوب على الجدار عاضاً على أنملته يتوعده.

وقيل : غير ذلك مما يطول ذكره.

والحاصل أنه رأى شيئاً حال بينه وبين ما همَّ به.

قوله : ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ الكاف نعت مصدر محذوف، والإشارة بذلك إلى الإراءة المدلول عليها بقوله : لولا أن رأى برهان ربه، أوإلى التثبيت المفهوم من ذلك : أي مثل تلك الإراءة أريناه، أم مثل ذلك التثبيت ثبتناه لنصرف عنه السوء أي كل ما يسوؤه، والفحشاء كل أمر مفرط القبح.

وقيل السوء : الخيانة للعزيز في أهله، والفحشاء : الزنا.

وقيل السوء : الشهوة، والفحشاء : المباشرة.

وقيل السوء : الثناء القبيح.

والأولى الحمل على العموم فيدخل فيه ما يدل عليه السياق دخولاً أولياً، وجملة إنه من عبادنا المخلصين تعليل لما قبله.

قرأ ابن عامر وابن كثير وأبوعمرو المخلصين بكسر اللام ؛ وقرأ الآخرون بفتحها.

والمعنى على القراءة الأولى أن يوسف عليه السلام كان ممن أخلص طاعته لله، وعلى الثانية أنه كان ممن استخلصه الله للرسالة.» إنتهى.

أقول : الحمد لله حيث اعترف أن إقدامه لم يكن اختيارياً وأن القول به يُعدُّ ظلماً لأنبياء الله تعالى.

ولكن أقول ما أدراه أنه قد تخالج بنفسه كل ما ذكر، وما هي إلا قيل وقال، ولا شئ منها صح عن معصوم ؟! فدقق في كلمات القوم.

ولكثير مما سبق ذكره قال صاحب الكشاف في تفسيره :

«وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت اللّه تعالى وأنبيائه، وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل.

ولو وُجِدَت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنُعِيت عليه، وذُكِرَت توبته واستغفاره كما نُعِيَت على آدم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذي النون وذُكِرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد أثنى عليه وسمي مخلصاً، فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أُولي القوة والعزم ناظراً في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما أَنزل من كتب الأولين، ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها، ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل إبراهيم عليه السلام، وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة وطيب الإزار والتثبت في مواقف العثار.

فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليُقتدى بنبي من أنبياء الله :

في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها ،

وفي أن ينهاه ربه بثلاث كزات،

ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن،

وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد،

وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنثاه،

وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل، ولا ينتهي، ولا ينتبه، حتى يتداركه الله بجبريل، وبإجباره.

ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدهم حدقة وأصلحهم وجهاً لقي بأدنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقيَ له عرق ينبض ولا عضو يتحرك.

فيا له من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه» الكشاف / ج2 / أبوالقاسم محمد بن عمر الزمخشري.

ولولا ما مر عليك من كلامه من أن : «المراد أن نفسه مالت إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه، ميلاً يشبه الهم به والقصد إليه، وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم؛ وهو يكسر ما به، ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم، ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هماً لشدته لما كان صاحبه ممدوحاً عند الله بالامتناع ، لأن استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته. ولوكان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين.» لكان قد أصاب الحقيقة كلها.

ولا تظننَّ أنَّ أمثال السيد عبد الله شبرفي تفاسيرهم قد مالوا لهذا القول إذ قالوا وقد اختصروا كل ذلك الإطناب «﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ**﴾ قصدت مخالطته ﴿**وَهَمَّ بِهَا**﴾ مال طبعه إليها لا القصد الاختياري، والمدح لمن كف نفسه عن الفعل.».

إذ لو تمعنت بقولهم لظهر إليك قولهم جلياً واضحاً، حيث يقول :

«﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ قصدت مخالطته ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ مال طبعه إليها لا القصد الاختياري، والمدح لمن كف نفسه عن الفعل.» فهو يقول مباشرة بعد تلك الجملة بلا فاصل «﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ أي لولا النبوة المانعة من القبيح لهم، **ولكنه لم يهم لذلك**.».

فإن أمثال السيد عبد الله يشرحون الكلمة بدواً ثم يرفعون اليد عن ذلك المعنى اللغوي البدوي للجملة لوجود لولا بعدها، فيضربون عنها كشحاً، ويؤكدون المعنى الآخر، وهو انه لم يهم، وخاصة ان أساس تفسيره قد وُضِعَ لِشرحِ كلمات القران الكريم فانظر إليه تجد صدق ما نقول، فيظهر الفرق بين القولين.

وإن كان هناك موضع تأمل، في قوله في جملته الأولى، والمدح لمن كف نفسه عن الفعل، الذي ربما يُفهم منه أن شيئاً قد حصل في داخله، وهذا هو الذي يؤكده السيد فضل الله، فانتبه.

ولقد أجاد صاحب الميزان فيما أفاد إذ قال :

«**فلولا ما رآه من البرهان لكان الواقع هو الهمّ والاقتراب** دون الارتكاب والاقتراف.

وقد أشار سبحانه إلى ذلك بقوله: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ ولم يقل : لنصرفه عن السوء والفحشاء فتدبر فيه.»،

وكأنَّ أصحاب ذاك القول قد انتهوا من أن يوسف قد تحركت غرائزه، واشتهت نفسه، فردعها.

والعجب كل العجب كيف تمَّ التوصل إلى هذا الإطمئنان والجزم ؟ وللحديث عمق، وللكلمات دلالات ستأتيك بإذن الله فانتظر، لِنكمل معاً هذا الشوط ، بلا ميل أو هوى، وقد رأينا الهوى كيف هوى بهذه المرأة.

فانتظر قليلا لتكملة الحديث.

القسم الثاني

الكلمة في استعمالات أهل البيت عليهم السلام

الإستعمال الحديثي لكلمة (همَّ) انه للأعم وإن كان للتصميم أقرب وأظهر إذ ورد :

عن عبدالله بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام قال: سألته عن الملَكَين: يعلمانِ الذنب إذا أراد العبد أن يفعلَه، أو بالحسنة ؟

فقال عليه السلام: أفرِيحُ الكنيف والطِّيب عندك واحدة ؟! قلت: لا.

قال عليه السّــلام: العبد إذا همّ بالحســنة خرج نَفَسُــه طيّبَ الريح، فقال صاحبُ اليمين لصاحب الشمال: قف؛ فإنّه قد همّ بالحسنة. فإذا هو فعَلَها كان لسانُه قلمَه، وريقُه مِدادَه، فيُثبتها له.. وإذا همّ بالســيّئة خرج نَفَسُه مُنتنَ الريح، فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف؛ فإنّه قد همّ بالسيّئة. فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه، وريقه مداده، فيثبتها عليه.- صفات الشيعة للصدوق 80 .

وقد رواها آخرون عن الصادق عليه السلام.

وعن أبي عبد الله عليه السّلام في الرجل يهمّ بالسيئة من الشرب والسرقة أوشــبه ذلكَ ثمّ يصرفه الله عن ذلكَ فلا يفعل، هل عليهِ في الهمّ شــي ء؟ قال : لا، إذا همّ فلم يفعل، فليس عليهِ شــي ء.- الكافي : ج2 ص79 المحاسن :

295 مشكاة الأنوار : 168، مكارم الأخلاق ومكارم الفعال «من المحاسن»... للمحدّث الأقدم الإمام البرقي (ت 273 – أو280) ص 167.

وعنه عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من همّ بحسنة فعملها كتب الله لهُ بها عشراً، ومن همّ بها ولم يعملها [كتب الله واحدة، ومن همّ بسيّئة ولم يعملها] لم يكتب عليهِ شي ء، وإن عملها كتب [عليهِ] واحدة – نفس المصادر السابقة.

وعنه عليه السلام : «إن عابداً كان في بني إسرائيل، فأضافته إمرأة من بني إسرائيل، فهمَّ بها، فأقبل كلما هم بها قرب إصبعاً من أصابعه إلى النار، فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح، قال لها : أخرجي لبئس الضيف كنت لي.» البحار مجلد 5.

وقد جاء فيما رواه البخاري ومسلم (من همّ بحسنة ولم يعملها كُتبت له حسنة فإن همّ بها فعملها، كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة).

ففي كل ما تقدم نرى أنَّ الهم معناه أعم من الخطور في البال او التصميم، وأحسب أن هذا أوفق بكلام العرب السابق واللاحق الإستعمالي، وبالقرائن نستفيد التصميم والعزم وعدمه، ولو عدمت فنحمله عليه بلا ريب ولا شك، وذلك لما سيأتي.

القسم الثالث

معنى الكلمة لغوياً

المرحلة الأولى للفعل (همَّ) :

جاء في القاموس المحيط والقابوس الوسيط لِما ذهب من كلام العرب شماميط في حرف الميم فصل الهاء:

(الهَمُّ: الحَزَنُ ، جمعها : هُمومٌ،

والهـمُّ : ما هَمَّ به في نفسه

وهَمَّه الأَمْرُ هَمّاً ومَهَمَّةً: حَزَنَه،

أَهَمَّه، فاهْتَمَّ،

فإذاً هناك فعلان لهذه الأسماء هما : همَّه بمعنى حزنه، وأهمَّ فاهتمَّ وهذا قد تفرع من الثاني.

وأَهَمَّ السُّقْمُ جِسْمَه: أذابَهُ، وأذْهَبَ لَحْمَه، **وهذا فعل ثالث.**

وتَهَمَّمَ الشيءَ: طَلَبَه. **وهذا رابع.**

والهِمَّةُ، بالكسر، ويُفْتَحُ: ما هُمَّ به من أمْرٍ لِيُفْعَلَ ، والهَوَى.

والهُوامُ، بالضم: الهُيامُ.

هامَ يَهيمُ هَيْمــاً وهَيَماناً : أَحَبَّ امْرأَةً. **وهذا فعل آخــر، فهناك هِمّة وهَمّة بالكسر والفتح بمعنى الهوى.**

والهُيَّامُ : العُشَّاقُ المُوَسْوِسونَ.

ورجلٌ هائمٌ ، وهَيومٌ : مُتَحَيِّرٌ.

وهَيْمانُ : عَطْشانُ.

والهُيامُ، بالضم: كالجُنونِ من العِشْقِ.

وقَلْبٌ مُسْتهامٌ : هائمٌ.).

فالمعاني لهذه الكلمة:

1) هَمَّه الأَمْرُ هَمّاً ومَهَمَّةً : حَزَنَه : ولا تناسب بين هذا المعنى وبين اللفظ في السورة ومعناه، لأنه لو كان بهذا المعنى لقال الله عزَّ وجل (أهمته وأهمها) لأنك تقــول أهمَّ فلانًا أحزنهُ، أوتقول هــمَّ الأمرُ فلانًا يهُمُّهُ هَمًّــا ومَهَمَّةً أقلقهُ وحزنهُ، ولا تحتاج لحرف جر، فحينئذٍ لَقال همته وهمَّها، لا همت به وهم بها.

ولو تتبعنا إشــتقاق ذلك كله لقلنا فــي حال التحســس والطلب تهمَّمته وتهَّمَمها لأنهم يقولون تهمَّم الشيءَ تهمُّمًا طلبهُ وتحسَّسهُ. يقال ذهبت أتهمَّمهُ. أي أطلبهُ. وتهمَّم رأْسهُ فلاهُ.

أو في حال الغم يكون الفعل حينئذٍ إهتمَّ يقولون إهتمَّ الرجل إهتمامًا إغتمَّ. يقال همَّهُ الأمر فاهتمَّ. أي حزنهُ فاغتمَّ؛ ومنه المَهْمُوم المحزون والمغموم.

وإذا تولد من هذا كله الإعتناء بالشئ فإنهم يقولون : إهتمَّ لهُ بأمرِه عُنِي بهِ وأقدم عليهِ، وقام بهِ. وهو من لوازم الاهتمام بمعنى الإغتمام.

هذا لو كان بمعنى الحزن وما يقاربه من معنى.

راجع في ذلك كله كتب اللغة ومنها لسان العرب.

والفعل في الآية المباركة كما ترى أجنبي عن هذا كله.

2) أَهَمَّه، فاهْتَمَّ : وكذا لا تناسب هنا كما هوبيِّن، لأنه لو كان لقال أهمها وأهمته، أواهتم بها واهتمت به، كما مر، فلاحظ.

3) أَهَمَّ السُّـقمُ جِسْـمَه : أذابَهُ، وأذْهَبَ لَحْمَه: وهنا لا تناسب أيضاً، ولا نطيل لأنه واضح.

4) تَهَمَّمَ الشيءَ : طَلَبَه : ولا بينهما أيضاً، لأنه لم يقل (تهممته وتهممها) كما مر عليك.

5) هامَ يَهيـمُ هَيْماً وهَيَماناً : أحَبَّ امْـرأَةً : ولا معنى الفعل في الآية هذا أيضـاً وذلك لأنه لو كانه لَقـال تعالى (هامت به وهام بهـا)، ولعل هذا الفعل هوالذي أربك القوم فادَّعوه.

فإذاً لم يبقَ ألا معنى الهِمَّةُ، بالكسـر، ويُفْتَحُ : ما هُمَّ به مـن أمْرٍ ليُفْعَلَ ؛ والهوى هنا لا يصح لأنَّ فعله هو هـام وليس همَّ، ولا من التحير لأنّ فعله هام أيضاً والفرق بينه وبين الوقوع في الهوى هو حرف الجر الذي يأتي بعده فتقول فيه هام على وجهـه أو هام في الصحراء مثلاً، وفي الآخـر هام به بمعنى هواه وعشقه، كما هو واضح. ولعل الصيغة المستعملة فيما يشغلهم أمره : هو يهمني وأهمني، ولعل بعضهم يسـتعمله في الحب والهوى من جهة أنشـغال القلب بالحبيب، فيقول :هو قد أهمها وهي قد أهمته، ومنه يقولون : هذا أهم الأشياء عندي، مثلاً، وأنت ترى إنه غيره، وقد مر عليك قبل أسطر مثله.

ونبقى مع الفعل همَّ المقارب لمعنى ما جاء في السورة لإكمال الصورة :

(هَمَّ) بالأَمر هَمًّا وهُمَّاً بالفتح والضم : عزم على القيام به ولم يفعلْه. مثلاً: «هَمَّ بِالدُّخُولِ» «هَمَّ بِأَنْ يَدْخُلَ»، «هَمَّ بِالحَجِّ».

و(هَمَّ) لنفْسه : طلب واحتال.

و(هَمَّ) الأَمرُ فلانًا : أَقلقَه وأَحزنه. فهو فعل متعدٍ.

و(هَمَّ) الشيءَ : أَذابه. يقال : همَّ الشَّحمَ، وهمَّتِ الشمسُ الثلجَ. ويقال: همّ السُّقمُ جِسمَه: أَذهب لحمَهُ وأَضناه. وهَمَّ الغُزْرُ النَّاقةَ: جَهَدَها. وهو متعد أيضاً.

و(هَمَّت) الحيَّةُ الرجلَ : عضَّته. ويقال: همَّت السُّوسةُ الحبَّ ونحوَه: أَكلتْ لُبابَه. وهو متعد أيضاً.

وهمت حشرات الأرض همَّاً وهميماً. أي دبت. فهو هنا لازم.

وهناك لازم ثانٍ تقول : هَمّ َالرَّجُلُ، يَهُمُّ هُمُومَةٌ وهَمَامَةٌ : صَارَ هِمّاً، أَيْ شَيْخاً فَانِياً، نَحِيفاً.

فكل الأفعال المتعدية لا دخل لها مع فعلنا، كما هو حال كل الأفعال اللازمة، فَلَم يبق إلا المتعدية بحرف وما هي إلا:

(هَمَّ) بالأَمر هَمًّا بالفتح والضم : عزم على القيام به ولم يفعلْه.

و(هَمَّ) لنفْسه : طلب واحتال.

وحرف الجر في الثاني بعيد عن الحرف المستعمل في الآية المباركة فلم يبق إلا الأول.

وقالوا في الأول:

عقد القلب على فعل شيءٍ قبل أن يفعل من خيرٍ أوشرٍ.

وهمّ بالشيءِ هَمًّا أرادهُ وعزم عليهِ وقصدهُ ولم يفعلهُ. ومنهُ في سورة يوسف ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا**﴾.

راجع بكل ذلك كتب اللغة الحديثة منها والقديمة، ومنها لسان العرب والقاموس المحيط.

والذي يقتضيه النظر هــو الأمر الأول، لا الثاني، وذلك لأن أصل الهم هو العزم وعقد القلب فيــه وهو فعل جانحي وليس جوارحي، وهذه ال (لم يفعل) فعل جوارحي، وبعبــارة أدق المعنى الثاني فيه المعنــى الأول مع زيادة وهذه الزيادة تحتاج الى دليل خارجي لإدخالها في المعنى الأصلي ولا فلا.

ونثبت ذلك بطريقة أخرى: يصح قولك هــمَّ بالفعل ولم يفعل، كما صح إنه همَّ وفعل، ولو كان من جملة معنى الفعل عدم الفعل لما صح التعبير الأول فتفطن، لأنه لا معنى لقولك (عزم على الفعل وقصــده ولم يفعله) ولم يفعله، بل حتى الثاني فإنه يصح بكلام العرب هممــت بالفعل وفعلته ولكن لا يصح (عزمت على الفعل وقصدته ولم أفعله) وفعلتــه، فلو كان هذا معناه ذاك لصح مثلما صح، فتفطن.

نعم قد نســتفيدها من الخارج كما هو واقع القصة فهذا شئ آخر، لذا ترى ما في ما جاء في مثــل هذه الكتب التي هي مصادرنـــا، وكأنهم قصدوا المعنى الذي جاء في السورة فهو المعنى الإستعمالي كما فهموه، لا المعنى اللغوي لها كما رسموه، فانتبه.

وقد تتبع معنى الكلمة قبل كل هذا وذاك سيد اللغة العربية والمحنك فيها علم الهدى السيد الشريف المرتضى (رحمه الله تعالى) فقال في كتابه تنزيه الأنبياء:

«إن الهم في اللغة ينقسم إلى وجوه :

1) منها العزم على الفعل:

كقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْۖ﴾ سورة المائدة: آية 11.

اي ارادوا ذلك وعزموا عليه.

قال الشاعر:

هممت ولم افعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

ومثله قول الخنساء:

وفضل مرداسا على الناس حلمه وان كل هم همه فهو فاعله

ومثله قول حاتم الطائي:

ولله صعلوك يساور همه ويمضي على الايام والدهر مقدما

2) ومن وجوه الهم، خطور الشئ بالبال وان لم يقع العزم عليه:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ سورة آل عمران: آية 122.

وإنما أراد تعالى ان الفشل خطر ببالهم، ولو كان الهم في هذا المكان عزما، لما كان الله تعالى والاهما لأنه تعالى يقول: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ سورة الأنفال: آية 16.

وارادة المعصية، والعزم عليها معصية. وقد تجاوز ذلك قوم حتى قالوا ان العزم على الكبيرة كبيرة وعلى الصغيرة صغيرة وعلى الكفر كفر. ولا يجوز ان يكون الله تعالى ولي من عزم على الفرار عن نصرة نبيه صلى الله عليه وآله واسلامه إلى السوء، ومما يشهد ايضا بذلك قول كعب بن زهير:

فكم فيهم من سيد متوسع ومن فاعل للخير ان هم اوعزم

ففرق كما ترى بين الهم والعزم. وظاهر التفرقة قد يقتضي اختلاف المعنى.

3) ومن وجوه الهم ان يستعمل بمعنى المقاربة: فيقولون هم بكذا وكذا اي كاد ان يفعله. قال ذو الرمة:

أقول لمسعود بجرعاء مالك وقد هم دمعي ان يلج اوائله

والدمع لا يجوز عليه العزم، وإنما اراد انه كاد وقرب.

وقال ابو الاسود الدؤلي:

وكنت متى تهمم يمينك مرة لتفعل خيرا تقتفيها شمالكا

وعلى هذا خرج قوله تعالى «جدارا يريد ان ينقض» اي يكاد.

قال الحارثي:

يريد الرمح صدر أبي براء ويرغب عن دماء بني عقيل

4) ومن وجوه الهم الشهوة وميل الطباع:

لان الانسان قد يقول فيما يشتهيه ويميل طبعه اليه : ليس هذا من همي وهذا أهم الاشياء الي. والتجوز باستعمال الهمة مكان الشهوة ظاهر في اللغة.

وقد روي هذا التأويل عن الحسن البصري قال: أما همها فكان اخبث الهم، واما همه (ع) فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء. - إنتهى.

ولكن للتبادر من أن الهم هوالإقدام على العمل، ولصحة السلب عن غيره إذ لنا أن نقول لمن خطر الخاطر بخاطره فقط أنه لم يهم بالفعل أصلا وكما نعلم أن صحة السلب من علامات المجاز لذا نؤيد ما جاء عن الشيخ جعفر السبحاني إذ قال «نعم لا ننكر أنّ الهم قد يستعمل بالقرينة في مقابل العزم، قال كعب بن زهير:

فكم فهموا من سيد متوسع ومن فاعل للخير ان همّ أوعزم

ولكن التقابل بين الهم والعزم أوجب حمل الهم على الخطور بالبال، ولولاه لحمل على نفس العزم.

كما ربّما يستعمل في معنى المقاربة فيقولون : همّ بكذا وكذا، أي كاد يفعله، وعلى كل تقدير فالمعنى اللائح من الهم في الآية هوالعزم والاِرادة.».

هذا الكلام كله في المرحلة الأولى لهــذا الفعل فنحن قد حصرناه إذاً ب (همَّ) بمعنى عقدَ القلبَ على فعل شيءٍ قبل أن يفعل من خيرٍ أوشرٍ.

المرحلة الثانية:

بعد أن عرفنا أن الهم معناه العزم نحتاج لمعرفة شئ آخر مهم جداً.

إذ بناءاً على هذا المعنى فإننا نحتاج لِمعرفة الشــئ المعقود عليه القلب، وبماذا تعلق العزم حتى نعرف ما همَّ به فاعل الهمَّ، فركِّز.

فإنه يصح أن يقال : هممت بالرحيل، هممت بالضرب، هممت بالسير... وهكذا، أي يمكن أن يتعلق به أي فعل لفاعل عاقل، ولا ينحصر بواحد.

ولا يمكن أن نتبرع به تبرعا، بل لابد أن يدل عليه دليل من قرينة حالية، أو مقامية تحدد لنا هذا الفعل إذا لم يظهر باللفظ.

بعد معرفة ذلك كله علينا أن ندقق في الكلام ليتضح لنا المقصود، وخاصة إذا كان الكلام هو كلام الله تعالى.

وقد أكمل المقال السيد المرتضى علم الهدى بعد إيراده سؤالاً متعلقاً بعلة الذهاب للقول بأن عزم يوسف مخالف لعزم المرأة بقولهم.

«متــى علقتم العزم في الايــة والهم بالضرب او الدفــع كان ذلك مخالفا للظاهر.

قلنا : --- والكلام الآن للســيد علم الهدى --- ليس الامر على ما ظنه هذا السائل، لان الهم في هذه الاية متعلق بما لايصح ان يتعلق به العزم والارادة على الحقيقة، لانــه تعالى قال : ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَــمَّ بِهَا**﴾ فتعلق الهم في ظاهر الكلام بذواتهما، والــذات الموجودة الباقية لايصح ان تُراد ويُعزم عليها، فلا بد من تقدير امر محذوف يتعلق العزم به مما يرجع اليهما ويختصان به.

ورجوع الضرب والدفع اليهما كرجوع ركوب الفاحشة.

فلا ظاهر للكلام يقتضي خلاف ما ذكرناه، ألا ترى ان القائل اذا قال : قد هممت بفلان فظاهر الكلام يقتضي تعلق عزمه وهمه إلى أمر يرجع إلى فلان، وليس بعض الافعال بذلك اولى من بعض، فقد يجوز ان يريد انه هم بقصده او باكرامه او بإهانته أو غير ذلك من ضروب الافعال .» تنزيه الأنبياء.

فلا بد من تقدير فعل على كل حال.

فتذكر هذا جيدا، واجعله في بالك، فإننا سنحتاج إليه فيما يأتي.

القسم الرابع

الكلام حول (لولا)

قال تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾.

قال ابن مالك:

لولا ولوما يلزمان الابتدا إذ امتناعاً بوجــودٍ عَقَدا

ولذا تسمى ب (لولا) الإبتدائية.

ولا تدخل هي وأختها لوما إلاّ على المبتدأ.

وكلاهما يحتاج إلى جواب.

ويكون جوابها في أغلــب الأحيان مذكوراً، ولكنه فــي أحيان أخر يكون محذوفاً يــدل عليه دليــل، وأمثلة ذلك كثيــرة لم تفت كل مــن تعرض لهذه المباحث :

مثل قول القائل:

كانوا ثمانين أوزادوا ثمانية لولا رجاوَك قد قتلت اولادي

وقوله تعالى : ﴿وَلَــوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُــمْ وَرَحْمَتُــهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ

﴿حَكِيمٌ﴾ سورة النور: آية 10.

أي ولولا فضل الله ورحمته عليكم لهلكتم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة النور: آية 20

معناها: ولولا فضل الله عليكم ورحمته، وأن الله رؤوف رحيم لهلكتم.

ومثله ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ سورة التكاثر.

معناها لو تعلمون علم اليقين لم تتنافسوا في الدنيا ولم تحرصوا على حطامها.

وقال امروء القيس:

فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط انفسا

اراد فلو أنها نفس تموت سوية لتقضت وفنيت، فحذف الجواب تعويلا على ان الكلام يقتضيه ويتعلق به.

ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة القصص: آية 10.

أي لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به، وهنا كان ما قبل «لَوْلَا» قرينة على جوابها.

ولا يفوتنك بأنّ قسماً من العرب أصلاً يجيز تقديم جواب لولا، وإلى ذلك ذهب الكوفيون، ومن أعلام البصريين : أبو العباس المبرد، وأبو زيد الأنصاري.

القسم الخامس :

البرهان في كلمات آل البيت عليهم السلام :

قد ذكر أهل اللغة أن البرهان ما هو إلا الحجة وقد ذكر ذلك الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط عندما قال: (البُرهانُ): بالضمْ الحُجَّةُ.

ولم يخرج الإستعمال القراني عن ذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ القصص: آية 32.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ سورة النساء: آية 174.

وقال سبحانه : ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ سورة النمل: آية 64.

إذاً ما البرهان إلا الحجة الدامغة التي لا ريب فيها ولا نقاش.

وهكذا لم يخرج البرهان في كلماتهمعليهم السلام عن ذلك أيضاً.

قال في المجمع عن الصادقعليه السلام البرهان النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش، والحكمة الصارفة عن القبايح.

وفي العيون عن الرضاعليه السلام وقد سأله المأمون عن عصمة الأنبياء:

لقد همت بــه ولولا أن رأى برهــان ربه لهم بها كما همــت به لكنه كان معصوما، والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه.

وقد نقلت ذلك بعض التفاسير منها تفسير نور الثقلين. ج2 ص421.

وهذا الذي ورد فــي كتب الخاصة قد رواه بقية المســلمين فهذا صاحب الموسوعة العلمية المعاصرة نفسه ينقل بعد أقوالهم، فيقول :

«وقال جعفــر بن محمد الصادق رضــي الله عنهما: البرهــان النبوة التي أودعها الله في صدره حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل.

وعن علي بن الحســين قال : كان في البيت صنم فقامت المرأة وســترته بثوب، فقال لها يوسف : لم فعلت هذا؟.

فقالت: استحييت منه أن يراني على المعصية.

فقال يوسف : أتســتحين مما لا يســمع ولا يبصر ولا يفقه؟ فأنا أحق أن أستحي من ربي، وهرب.- إنتهى.

«ويحتمل ان يكون البرهــان لطفا لطف الله تعالى له فــي تلك الحال او قبلها، اختار.

عنده الامتناع من المعاصي، وهــو الذي اقتضى كونه معصوما، ويجوز ان تكون الرؤية بمعنى العلم.» . الطوسي / التبيان .

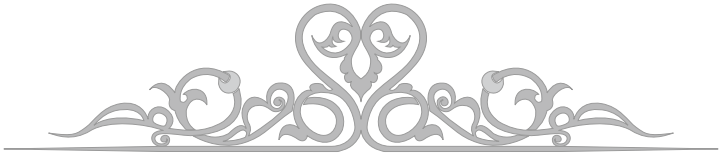

الفصل الثالث

زبدة المقال فيما يظهر من الكتاب والأخبار

القسم الأول

ألأدلة على براءة يوسف

لماذا الإصـــرار على ركوب الخطيئـــة لنبي الله والقرائـــن كلها تدل على طهارته.

1) للدليل العقلي القائم على تنزيه الأنبياء من كل سوء.

2) الدليـــل النقلي الذي هو واضح في كثير مـــن الآيات والروايات، ومن جملتها قوله تعالى في هذه السورة بالذات:

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْـــحَٰقَ وَيَعْقُـــوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْـــلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ سورة يوسف: آية 38.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ﴾: «ما» نافية، والجار والمجرور «لنا» متعلق بخبر كان، والمصدر المؤول من أن والفعل، وهما «أن نشرك» إسم كان، و«من» زائدة إعرابياً، «شيء»: نائب مفعول مطلق.

والمعنى يكون حينئذٍ: ما نشرك بالله شركًا قليلاً كان أو كثيرًا، وهذا المعنى هو الذي نُعَبِّر عنه بالعصمة.

وهو فضل من اللـــه عليهم وعلى الناس كما هو ظاهـــر وواضح من لفظ الآية المباركة.

والتفكير بهذه الآية يجرنا جزماً إلى أن الرأي المائل إلى القول بأن يوسف تحركت الطبيعة بداخله، وهو من الشـــرك الخفي جداً كما هو واضح، وخاصة بالبيان الذي صوروه به، فراجعْ كلماتهم، ما هذا الرأي إلا قيلٌ مائل عن الحق.

وبالإضافة لبقية الأدلة التي سمعتها حول الموضوع نفسه وستسمعها فإنه يُجتَثُّ من فوق الإرض ما له من قرار، كالأقوال الأخر من أي فردٍ صدر.

3) كل آية بمفردها كما مر عليـــك، ووضحناه من معناها، من أول الواقعة لنهايتها، وهذا كتاب الله بين يديك.

4) وقد أحســـن الفيض الكاشـــاني رحمه الله تعالى وأجاد في تفســـيره الصافي حيث قال :

«وقد نسبت العامة خذلهم الله إلى يوسف في هذا المقام امورا ورووا بها روايات مختلفة لا يليق للمؤمن نقلها فكيف باعتقادها».

«ونِعْمَ ما قيل إن الذين لَهُمْ تعلق بهذه الواقعة هم:

يوسف

والمرأة

وزوجها،

والنسوة

والشهود،

ورب العالمين،

وإبليس.

وكلهم قالوا ببراءة يوسف عن الذنب فلم يبق لمسلم توقف في هذا الباب:

أما يوسف : فقوله : ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾. سورة يوسف: آية 26.

وقوله: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾. سورة يوسف: آية 33.

وأما المرأة : فلقولها : ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾. سورة يوسف: آية 33.

وقالت: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾. سورة يوسف: آية 51.

وأما زوجها: فلقوله ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾. سورة يوسف: آية 28.

وأما النسوة : فلقولهن: ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ سورة يوسف: آية 30.

وقولهّن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ﴾. سورة يوسف: آية 51.

فلو شاهدن أو سمعن أي المنقولات التي تعب الكثير في نقلها لما قلن هذا القول، ولنقل الباري قولهنَّ لنا في محكم كتابه .

وأما الشهود: فعند قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾. سورة يوسف: آية 26.

وأما شهادة الله بذلك فقوله عزَّ مِن قائل: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾. سورة يوسف: آية 24.

وأما اقرار ابليس بذلك: فلقوله : ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٣ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٤﴾ سورة ص، فأقر بأنه لا يمكنه إغواء العباد المخلصين، وقد قال الله تعالى :﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾، فقد أقر إبليس بأنه لم يغوه.

وعند هذا نقول إن هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف الفضيحة:

إن كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله بطهارته، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا اقرار إبليس بطهارته. إنتهى.

وقد أتمَّ الفخر الرازي كلامه: «ولعلهم يقولون: كنا في أول الأمر تلامذة إبليس، إلى أن تخرجنا عليه فزدنا في السفاهة عليه.

كما قال الخوارزمي:

وكنتُ امرأً مِن جند إبليسَ فارتقى بيَ الدهر حتّى صار إبليسُ من جُنْدي

فلو مات قبلي كنتُ أُحْسِنُ بعدَهُ طرائقَ فسقٍ ليس يُحسنُها بعدي

فثبت بهذه الدلائل : أن يوسف عليه السلام بريء مما يقول هؤلاء الجهال.». إنتهى.

وكان قد أضاف في تفسيره: «قد شهد الله تعالى في هذه الآية الكريمة على طهارته أربع مرات:

أولها ﴿**لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ**﴾ واللام للتأكيد والمبالغة.

والثاني قوله: ﴿**وَٱلْفَحْشَآءَۚ**﴾ أي وكذلك لنصرف عنه الفحشاء.

والثالث قوله: ﴿**كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ**﴾. سورة يوسف: آية 24.، مع أنه تعالى قال:

﴿**وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا**﴾، سورة الفرقان: آية 63.

والرابع قوله: ﴿**ٱلْمُخْلَصِينَ**﴾ وفيه قراءتان: قراءة باسم الفاعل، وأخرى باسم المفعول.

فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتيًا بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص.

ووروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه لنفسه، واصطفاه لحضرته. وعلى كلا الوجهين: فإنه من أدل الألفاظ على كونه منزهًا عما أضافوه إليه. إنتهى.

وأخيراً نضيف نحن قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ ولم يقل لنصرفه عن السوء والفحشاء لأنه معصوم منصرف عن ذلك كله، ففكر فيه فإنه حريٌ بالتدبر.

القسم الثاني من الفصل الثالث

إمرءاة العزيز وهمها

نعم الأدلة قامت على أن المرأة أرادت إرتكاب الفحشاء:

1) : إنها ممن يجوز عليها فعل القبيح.

2) : والكتاب الكريم قد أثبت ذلك لها بأكثر من موضع، وكفى به شاهداً بيننا : وإنما اثبتنا همها به متعلقا بالقبيح لشهادة الكتاب قال تعالى : ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾. سورة يوسف: آية 23.

3) : شهادتها على نفسها وإقرارها :

أ) : ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾. سورة يوسف: آية 51.

ب) : ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾. سورة يوسف: آية 32.

ج) : ﴿۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾. سورة يوسف: آية 53. على القول الذي ينسب هذا القول للمرأة كما نميل إلى ذلك.

4) : الشاهد في ذلك اليوم : ﴿... إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٢٧﴾. سورة يوسف.

5) : العزيز نفسه :

أ) : حينما قال مخاطباً زوجته، وهوالقريب اللصيق بالحدث ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾. سورة يوسف: آية 28.

ب) : وقوله : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾. سورة يوسف: آية 29.

6) : نسوة المدينة :

أ) : ﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. سورة يوسف: آية 30.

ب) : وحينما ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ﴾. سورة يوسف: آية 51.

7) : والآثار واردة وبإطباق مفسري القرآن وحتى المتؤلين منهم من كافة فرق المسلمين، على أنها همت بالمعصية والفاحشة.

ما عدا الأستاذ رشيد علي في مناره إذ جعل همها متعلقا بالضرب مثل هم يوسف عليه السلام، وقد مرَّ عليك إشكال بعضهم عليه فراجعْ.

إذاً همها كان غير همه للشواهد المتقدمة.

ولهذا وذاك جعلنا متعلق همها غير متعلق همه، فتفطن.

«على انه لو كان للكلام ظاهر يقتضى خلاف ما ذكرناه، وان كنا قد بينا ان الامر بخلاف ذلك لجاز ان نعدل عنه ونحمله على خلاف الظاهر، للدليل العقلي الدال على تنزيه الانبياء عليهم السلام عن القبائح.» تنزيه الأنبياء / السيد المرتضى / قصة يوسف.

فإذا كان كذلك فلماذا الإصرار على حشر يوسف الصديق مع المرأة، ونسبة الأمر إليهما على حد سواء، والإختلاف ظاهر لكل عين ؟!

الفصل الرابع

القول الفصل

إذا دققنا فـــي كلمات القوم لألفيناها وجهت الكلام في الســـورة المباركة لأكثر من إتجــاه، ولو أمكن بعضها الخاص فلماذا الإصرار على نســبة الذنب المخزي إلى أنبياء الله، أوحتى حديث النفس؟!

خاصة أن تلك التوجيهات الخاصة مما تســاعد عليهــا اللغة، ويرتضيها العقل والوجدان، وتدل عليها كلمـــات القران، وقد بَيَّنَ كثيراً منها عِدل الكتاب وما هم إلا أهل البيت عليهم السلام.

فلماذا الإصرار على ترك هذا كله والذهاب لطــرق وعرة ما أنزل الله بها من سلطان، والإعتقاد بها ؟!

القسم الأول:

متعلق همِّ يوسف في كلمات أهل البيت عليهم السلام

الأول منهـــا : في المجمع عـــن الصادق عليه السلام البرهان النبـــوة المانعة من ارتكاب الفواحش والحكمة الصارفة عن القبايح.

الثاني منها : وفي العيون عن الرضا عليه السلام وقد ســأله المأمون عن عصمة الأنبياء لقد همـــت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بهـــا كما همت به لكنه كان معصوما والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه.

الثالث منها : قال ولقد حدثني أبي عن الصـــادق عليه السلام إنه قال همت بأن تفعل وهم بأن لا يفعل.

الرابع منها : وفي رواية أنها همت بالمعصية وهّم يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما تداخله،

فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء يعني القتل والزنا. --- وهي الرواية التي سنذكرها بعد حين ---.

الخامس منها : وعن السجاد عليه السلام قامت إمرأة العزيز إلى الصنم فألقت عليه ثوبا، فقال لها يوسف أتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه، ولا يأكل ولا يشرب ولا استحي أنا مِمَّ خلق الأنسان وعلّمه ؟! فذاك قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه.

والعياشي مثله عن الباقر عليه السلام بعدما كذب قول الناس أنه رأى يعقوب عاضا على أصبعه.

والقمي أيضا روى قيامها إلى الصنم عن الصادق عليه السلام.

وقد مر عليك في أول البحث روايةٍ الصدوق رحمه الله حول هذا كله، ونذكرها تارة أخرى لترسيخ المعنى الجليل أكثر، وهو التوجيه الرابع ممَّا قدمنا، روى فيما رواه :

«ان المأمون العباسي جمع للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين، وكان فيهم علي بن الجهم من اهل المقالات الاسلاميين، فسأل الرضا عليه السلام أسئلة كثيرة منها عن قوله تعالى في يوسف : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ ؟.

فأجابه عليه السلام فيما أجاب : ويحك يا علي.... إن اللّه عز وجل يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾. سورة آل عمران: آية 7. ..... إلى أن قال عليه السلام :

أما قوله عز وجل في يوسف : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾، فانها همت بالمعصية، وهمّ يوسف بقتلها إن اجبرته، لعظم ما داخله، فصرف اللّه عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله : ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعني القتل، (والفحشاء) يعني الزنا. البحار 11 : 73، عن امالي الصدوق 55، وفي طبعة أخرى : 90.

القسم الثاني من الفصل الرابع

مناقشة أخيرة لأضعف الأقوال

فلو راجعنا القصة في التفاسير لرأينا كل واحد يدلو بدلوه ولا من دليل، فهذا الذي يقول أنه أراد الفعل الكذائي، وذاك يقول ذاك حتى أن أحدهم أحصاها بالقيل إلى أكثر من خمسة أقوال كما مر عليك، ومن حقنا أن نتسائل من أين له هذا وخاصة بعض الأمور التي ينسبونها هي في داخل خلجات قلب يوسف ولم تظهر ؟! فهل علموا ما بداخله ؟!

بعد استعراض هذه الأفعال وما اشتُق منها نرى أنَّ لا ربط لبعضها فيما تحويه كلمات هذه السورة المباركة، وأن خلط بعضهم بالأفعال المتشابهة إلا في حرف أوحرفين، فجاء بمعنى غريب لفعل آخر وحشره في هذه القصة لقربه من ذهنه لا من كلماتها ومعناها.

فانظر لما كتب محمد فتح الله كولن مثلاً : تحت عنوان أصلي – العصمة والأنبياء الآخرون – وفرعي ورمز له بالحرف – د – يوسف عليه السلام رمز العفة –

«والآية التي أدت إلى سوء فهم موقف يوسف عليه السلام هي الآية التي أتت بعد تلك الآية مباشرة، وهي:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ سورة يوسف: آية 24

وقبل تفسـير الآية علينا أن نقف عند معاني بعض الكلمات فيها. الكلمة التي أدت إلى سوء الفهم هي كلمة «همّ».

هذه الكلمة فعل مـاض ولها معان عديدة، حيث يُختار المعنى الأنسـب بالنسبة لموقف الفاعل، وهنا قاعدة في علم اللغة تقول بوجوب اختيار المعنى الأساسـي والحقيقي للكلمة إن لم يكن هناك دليل مناقـض لهذا المعنى، ولم يكن هناك تناقض مع الموضوع المنوه عنه، أي يُختار المعنى الأول للكلمة.

والمعنـى الأول الذي يعطيـه علماء اللغـة - مع وجود بعـض الفروق الإقليمية - لهـذه الكلمة هو: قَلِق وحزن، ومصدره الهَـمّ، ومعنى قَلِق أوأقلق هو الوقوع في اضطراب قلبي، وفي الغم وفي الحزن الشـديد. فإن نسـبنا هذا الفعل إلى زليخا لكان معنى «همت» أنها حزنت من جرّاء يوسـف عليه السلام وقلقت بصدده وداخلها حزن كبير بسببه. ثم إن يوسف عليه السلام قلق وحزن واغتم أيضاً، ذلك لأنه كان بمثابة أسـير في ذلك البيـت، فلو هرب منه لقبض عليه وأعيد إلى البيت، ثم إن هذه المرأة أصبحت مسلطة عليه.

إذن، فكما كان يوسـف عليه السـلام مصدر حزن لها لأنها كانت تشتعل غراماً به، فإنه كان قلقاً ومغتماً باسـم عفته وعصمتـه. ولم يزل قلقه حتى رأى برهان ربه وعلم أنه في حفظ الله تعالى ورعايته، وأنه لن يسمح لأحد أن يلوثه، لأن الله جعله في حرز حريز بكل البراهين التي أحاطه بها ؛ ولكنه حتى حصول هذا العلم وهـذا اليقين عنده فقد قضى أوقاتاً عصيبـة.. ويجب إمالة النظر في التفاسير من هذه الزاوية.

وأنت ترى أن كل هذا بعيد كل البعد عن معنى الفعل الذي جاء في السورة المباركة فكيف يجب ما أوجبه ؟!

والمسـكين وقع في هذا المعنـى الذي هوأبعـد من البعيد ظنّـاً منه أنه سيتخلص من إشكالات القوم وتخرصاتهم.

الخاتمة

إحتمالات ما وقع ذلك اليوم

وإذا تمعنا في القصة كما رواها القران الــذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفــه لرأينا عجبا، ورأينــا كم ابتعد القوم عن الحــق، ولأمكن حصر الواقعة الحقيقية بين الإحتمالات التالية بلا المرور بتخبطاتهم:

فعلى كل الذي سبق ولحق نقول:

«وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون».

«وراودته» أي طلبت منه بهــدوء ومراوغة، إذ الــرود هوالتردد في طلب الشيء برفق.

وقال أصحاب اللغــة : المراودة أن تنازع غيرك فــي الإرادة فتريد غير ما يريد أو ترود غير ما يرود، فيقولون راودت فلانا عن كذا إذا كنت تريد منه شيئاً وهو يمتنع عن الإجابة.

«وراودته» «التي هوفي بيتها» وهي امرأة العزيز (زليخا) «عن نفسه» أي طلبت منه عمل المنكر كما هو واقع القصة، «وغلّقت الأبواب» أي أحكمت إغلاقها،

«وقالت» له «هيْت لك» أي هلمَّ، لقد هيأت لك كل شئ .

«قال معاذ الله».

وما أحسن ما كتب صاحب الميزان في تفسيره حيث قال :

«ترى أنها تتوسل عليه بالأسباب بتغليق الأبواب، والمراودة، والأمر بقولها: «هيت لك»، وأما هو فقد قابلها بقوله : «معاذ الله» فلم يجبها بتهديد، ولم يقل إني أخاف العزيز، أولا أخونه، أو إني من بيت النبوة والطهارة، أو إن عفتي أو عصمتي تمنعني من الفحشاء.

ولم يقل إني أرجو ثواب الله أو أخاف عذابه إلى غير ذلك.

ولو كان قلبه متعلقا بشيء من الأسباب الظاهرة لذكره وبدأ به عند مفاجأة الشدة ونزول الاضطرار على ما هو مقتضى طبع الإنسان.

بل استمسك بعروة التوحيد وأجاب بالعياذ بالله فحسب، ولم يكن في قلبه أحد سوى ربه ولا تعدى بصره إياه إلى غيره.

فهذا هوالتوحيد الخالص الذي هدته إليه المحبة الإلهية، وأولهه في ربه فأنساه الأسباب كلها، حتى أنساه نفسه، فلم يقل إني أعوذ منك بالله، أوما يؤدي معناه، وإنما قال : ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾.

وكم من الفرق بين قوله هذا وبين قول مريم للروح لما تمثل لها بشرا سويا : ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ سورة مريم: آية 18. إنتهى.

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ والضمير في ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ كما أثبتنا يعود لله وحده لا إلى غيره كما ادعى غير واحد .

﴿هَمَّتۡ بِهِۦ﴾ بعد أن عزمت على المنكر والمعصية، عزمت على أخذه بين يديها وما أشبه ذلك، وتقدّمت نحوه فعلاً، كما يشهد السياق على هذا، والكلمات والحوادث المتتابعة للقصة.

﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ : يحتمل هنا إحتمالان لا شطط فيهما ولا زيغ:

الأول منهما :

﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ لهمَّ بها، بدلالة المذكور اللفظي، وقد تقيدنا به حتى بناءاً على أنه لا يصح تأخير لولا، لإنه غيره، وقد دلَّ عليه المذكور، وأمثاله كثير في لغة العرب، فيكون المعنى أنه لولا البرهان لكان ما كان، فلولا البرهان لَهمَّ بها ولكن وجود البرهان حال دون ذلك.

وهنا للحديث قابلية بأن يكون ذا شقين :

الشق الأول :

أن رؤيتـه للبرهان قد حدثت في نفس زمن الحادث، وما هي إلا تجسّـد إطلاع اللـه عليه ونظره لـه في تلك الحالـة بالخصوص وفـي كل الحالات بالعموم، إذ قامت إمرأة العزيز إلى صنم كان هنـاك فألقت عليه ثوبا، فقال لها يوسف أتستحيين ممن لا يسـمع ولا يبصر ولا يفقه، ولا يأكل ولا يشرب، ولا استحي أنا مِمَّ خلق الأنسان وعلَّمه ؟

كما قدمنا ذلك في رواية عن الإمام السجاد عليه السلام.

الشق الثاني :

أن يكـون البرهان هوالنبوة والعصمة التي أحيط بها النبي يوسـف، فلولا العصمة التي هو متلبس بها، لَهمَّ بها، ولكنه معصوم فلم يهم بها أبداً.

ففي هذين نلتزم بعدم حدوث الهم لـه أصلاً، وقد نفاه عنه الباري بحرف يدل على إمتناع شئ لوجود شئ آخر، والهم كما علمنا من أفراده خطور الشئ في الذهن فحتى هذا بهذا البيان مسـلوب عنه، أوعلى أقل تقدير العزيمة منفية، أياً كان هذا العزم.

يعني مقتضى الطبيعة البشرية، ومقتضى الحال لشابٍ تحيطه هذه الظروف من كل مكان هوالخضوع والإنجذاب، والوقوع بما وقعتٍ فيه، ولكنَّ يوسـف كان معصوماً فلم يقع منه شئ البتة.

ونحن لا نميل كلياً لهذا الرأي، ولكنه ممكن بحد ذاته، وهناك رواية تؤيده.

وهناك في مثل هذه الإجواء، كان التصور للموقف من بعض المفسـرين المعاصرين لهذا الشاب أن يصفه باسمه، فتولد :

«**الموقف اليوسفي:**

إنها لحظةٌ من لحظات الإحساس، عبرّت عن نفسها ثم ضاعت وتلاشت أمام العقيدة الراسخة، والقرار الحازم المنطلق من حسابٍ دقيق لموقفه من الله

لو أطاع إحساسه، وهذا ما عبّر عنه قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ في ما تعنيه كلمة البرهان من الحجة في الفكرة التي توضح الرؤية، وتكشف حقيقة الأمر، فيحسّ، بعمق الإيمان، أنه لا يملك آية حجةٍ في ما يمكن أن يُقدم عليه، بل الحجة كلها لله، وربما كان جوّ هذه الآية هوجوّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ سورة الأعراف: آية 201. وقد نستوحي ذلك من مقابلة كلمة ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ لكلمة : ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ فقد اندفعت إليه بكل قوّة وضراوة واشتهاء، فحركت فيه قابلية الاندفاع، وكاد أن يندفع إليها لولا يقظة الحقيقة في روحه، وانطلاقة الإيمان في قلبه، وبذلك كان الموقف اليوسفيّ، انجذاباً وتماسكاً وتراجعاً مستوحىً من الكلمة ومن الجوّ الذي يوحي به السياق معاً.». السيد محمد حسين فضل الله / من وحي القران.

وفيه : **أولاً** ما مر عليك في مناقشته في الفصل الأول، أذ هو قريب من رأي الفخر الرازي وعين ما مال إليه البيضاوي في تفسيره، ويكاد يكون نفس ما سطره سيد قطب في ظلاله.

ثانياً : التشبيه بين هذا الموقف وجو قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ سورة الأعراف: آية 201. لا يمكن وذلك :

لأنَّ هؤلاء قد مسَّهم طائف من الشيطان، ولا يمكن أن يمس المعصوم طائف من الشيطان، لأنَّ المس هو الدخول في العمق لا مجرد الملامسة فهناك فرق بين المس والملامسة، ومنه قوله تعالى «لا يمسه إلا المطهرون».

ومنه أصلا في اللغة (المس) وهو الملعقة الكبيرة التي تغوص في أوساط القدر وتقلبه.

وقد قالوا : مسَّ الشيءَ يَمسُّهُ (من باب علِم) مسًّا ومَسِيسًا ومِسّيسَى لمسهُ وأفضى إليهِ بيدهِ من غير حائِل وأصابهُ.

ومَس الشيءَ بالشيءِ احتكَّهُ بِهِ حتى ينجرد واختبرهُ.

ومنه يقولون : بينهم رَحِمٌ ماسَّـةٌ : قرابةٌ قريبة، وحاجةٌ ماسَّـةٌ : مُهِمَّةٌ... ودونك الكتب اللغوية، ومنها لسان العرب.

فلعل اشـتباهاً بين المس وبين الملامسـة قد حصل هنا، ولعل الذهن قد انصرف إليها سهواً، لأنني أربأ عن مثله أن يكون غير ملتفت لهذا.

وبهذا يظهر انه لا يمكن رد هذا الإشـكال بقوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ سورة الحج: آية 52.

بل هي محكومة بقوله تعالـى : ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ سورة الحجر

وبقوله تعالى : ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣﴾ سورة ص.

وكان يوسف من المخلصين بصريح القران الكريم.

ولولا بعض كلماته الصريحة لقلنا ان رأيه كان على الإمكان لا الوقوع، أي أن شاباً بظروفه التي أحيطت به، مقتضى الأمر انه سيحصل الهم بالمعصية منه، فانظر لدقيق عبارتنا لحصل الهـم بالمعصية لا المعصية، التي تظهر في كلمات تفسيره ظهوراً يكاد ينص على ذلك لا على الهم، ومن هنا مع الأسف وقع كثير من الكتاب والمفسرين، لأنهم خلطوا بين الهم بالمعصية وبين المعصية نفسها، إلا انه لم يقع لوجود العصمة عنده.

ولقد أجاد صاحب الميزان فيما أفاد إذ قال :

«فلولا ما رآه من البرهان لـكان الواقع هو الهمّ والاقتراب دون الارتكاب والاقتراف.

وقد أشار سبحانه إلى ذلك بقوله : ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ ولم يقل : لنصرفه من السوء والفحشاء فتدبر فيه.».

ولكن هذا كان بعيدا عن ذهن حتى من مثل السـيد فضل الله حيث يتم ما سبق بقوله :

«يوسف ينصرف عن السوء

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ بما يلهمه الله لعباده من فكر، وما يثير فيهم من شعور ويفتح لهم من أفق، بهدف عصمتهم من السقوط أمام التجربة، أو الانحراف أمام الإغراء، ليستقيم لهم الدرب في الأفق الواضح، فيحصلوا على ثقة الأمة، في مواقع الصدق في القول والعمل، لتلتزم بما يأمرون أو ينهون عنه، من موقع الثقة، وهذا ما أراد الله ليوسف أن يبلغه، من خلال رؤية البرهان الإلهي الذي استطاع أن يعصم موقفه، ويضبط مشاعره الحسية.».

وهو أمر عجيب يصدر من مثله.

فلو لاحظت العنوان الذي جعله لهذا المقطع لرأيته مبايناً لما جاء في كتاب الله أشد مباينة فالقران يقول : ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾، وهو يقول : يوسف ينصرف عن السوء، واعتقد أنه لوالتفت لتغير رأيه في تفسيره لهذا المقطع على الأقل، والذي أوجب وقوعه في هذا الإشتباه الكبير هو تصوره الشخصي لصورة ذلك الشاب المؤمن في تلك المحنة، لا النبي الذي قد آتاه الله علماً وحكماً وكان من المحسنين، وجلّ مَن لا يشتبه.

ولا يمكن أن نحمل كلماته على الإفتراض، كما قلنا وذلك لظاهر بعض كلماته، بل وصريح أخر حيث يقول «وبذلك كان الموقف اليوسفيّ، انجذاباً وتماسكاً وتراجعاً مستوحىً من الكلمة ومن الجوّ الذي يوحي به السياق معاً.»، في المقطع السابق كما مرعليك.

فانظر إلى قوله (انجذاباً وتماسكاً وتراجعاً) يعني أن هناك انجذاباً قد حصل، يعني أن هناك تحركاً قد حصل كذلك، وإن كان هذا كله قد حصل في داخل قلبه ونفسه، ثم حصل الإمتناع، وهذا كله عبرعنه بالموقف اليوسفي.

هذا **أولاً، وثانياً** : هنا وقع المس، أما في قضية يوسف الصديق فلم يقع الهم أصلاً بناءاً على دلالة لولا وما جاء بعدها، فهي حرف امتناع لوجود، وبناءاً على تفسيره الأمر بهذا الشكل، فوجود البرهان صار مانعاً من أصل الهم لا من وقوع متعلقه كما هوالظاهر، وكما صرح به السيد محمد حسين الطباطبائي في ميزانه، وقد مر عليك.

يبقى حديثه الآخر الذي نحـــب أن نخوض فيه معه قليلا الآن، وإن كنا قد تعرضنا له في مطاوي أحاديتنا السابقة، لأنَّ أصل الكتاب قد كُتِبَ لأجل إثبات العصمة وتحديد حدودها التي يمكن لنا تحديدها، وهوقوله :

«هل في الآية ما ينافي العصمة ؟

لقـــد تحدث المفسّـــرون كثيراً عن تأويـــل هذه الفقرة لمـــا لها من علاقة بعصمة يوســـف، معتبرين أنه قد لا يكون نبياً آنذاك، ولكـــن رأي الكثيرين، أن العصمة تســـبق النبوّة، كما تلحقها أوترافقها، ويرى بعـــض آخر أن النبي إذا لم يكن معصوماً قبل البعثة، فمن الطبيعيّ أن يكون ذا مناعة أخلاقية لا تسقط أمام آية حالة من حالات الإغراء، لأن مسألة النبوّة ليست وظيفة تتعلق بالدعوة، بل هيّ مســـألة تتصل بالعمق المتأصّل في روحية النبيّ من قوّة الشـــخصية تؤهله للقيام بمهمّة تغيير العالم.

هذا بالإضافة إلى شـــهادة الله له، بأنه من عباده المُخلَصين في آخر الآية، مما يفرض أن يكون الإخلاص لله في العبودية، ســـرّاً مركوزاً في شخصيته، لا حالةً طارئةً عليها.

ولكننـــا في الوقـــت الذي نلتقـــي مع هؤلاء فـــي جوّ الفكـــرة، مع بعض التحفظات في تفاصيلهـــا، نعتقد أن العصمـــة، أو المناعة الروحيـــة، أو القوة الأخلاقيـــة لا تتنافى مع الحالة الإنســـانية التي تخضع لعوامـــل التأثر الطبيعيّ الإنســـاني بالرغبة والرهبة، بل إن كل ما تؤمنه، هـــو الالتزام الفكري والروحي والعملي بالخط المســـتقيم، فلا ينحرف في موقف، ولا يســـقط في تجربة، أما التهاويل والخطرات، والمشـــاعر، فهـــي أمورٌ طبيعية لذلك فـــلا مجال لإثارة الشبهة حول موقف يوسف، كما يظهر في الآية، مما يدفع إلى كثير من التأويل والتكلُّف الذي يبتعد عن المضمون الحقيقي لها.». إنتهى.

نقول بعد التوكل على الله تعالى :

نحن نؤمن بعوامل الـتأثر الطبيعي الإنساني بالرغبة والرهبة لكل الناس بما فيهم المعصوم، وكل إنسان لديه مشاعر وأحاسيس بلا ريب ولا شك.

لكن هل يعني هذا أن المعصوم يملك نفس المشـــاعر والأحاســـيس قوَّةً

وضعفاً، كما يملكها أي بشر آخر، أم أن الأمر يختلف ؟!

والحديث بالرغبة والرهبة عينها في المشاعر.

ولكن قبل ذلك من المهم أن نسأل لكي نستطيع أن نتكلم، ونميز الحق من الباطل :

هل البشر متساوون مع الطبيعة التي في داخلهم المرتبطة بالأحاسيس والمشاعر، بالرغبة والرهبة، أم هم متفاوتون من جهة الإنجذاب أوالإندفاع أو التقلب ؟!

هناك أحاسيس عند البدوي والمدني، وعند العالم والجاهل وهذا شئ لا يمكن أن ينكره أحد، ولكن هل هي نفسها؟

هل تتحرك بداخل الأول مثلما تتحرك بداخل الثاني، أو بداخل أي إنسان آخر ؟

بل لو كان هناك شخصان عاشا في مكان وزمان واحد هل درجة استجابة المشاعر للأمر الخارجي تكون متساوية بينهما ؟

ويسلط الضوء على هذا الإختلاف الشاسع بين أفراد البشر السيد الطباطبائي في ميزانه إذ يقول عند حديثه حول الفرق بين المجتمعات الحيوانية والمجتمع الإنساني في نهاية تفسيره للآية المباركة

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ سورة الأنعام : آية 38.

«ثم إنك إذا تأملت حال أفراد الإنسان المختارين في أفعالهم وجدتهم ذوي اختلاف شديد في مبادىء اختيارهم أعني الصفات الروحية والأحوال الباطنية من شجاعة وجبن، وعفة وشره، ونشاط وكسل، ووقار وخفة، وكذا في قوة التعقل وضعفه، وإصابة النظر وخطائه، فكثيرا ما يرى الشرهُ نفسَه مضطرة مسلوبة الاختيار في موارد يشتهي الانهماك فيها، لا يعبأ بأمرها العفيفُ المتطهر، وربما يرى الجبانُ أدنى أذىً يصيبهُ في مهمة أومقتلةٍ عذراً لنفسه ينفي عنه الاختيار، ولا يرى الشجاعُ الباسل الآبي عن الضيم الموتَ الأحمر وأيَّ زجرٍ بدني أمراً فوق الطاقة، ولا يرى لأيِّ مصيبةٍ هائلةٍ في سبيل مقاصده

من بأس، وربما اختار السفيهُ خفيف العقل بأدنى تصورٍ واهٍ، ولا يرى العاقل اللبيب ترجيحَ الفعل بأمثال تلك المرجحات إلا تلهياً ولعبا، وأفعال الصبيان غير المميزين اختيارية معها بعض التروي ولا يعبأ بها وبأمرها البالغ الرشيد.

وكثيرا ما نعد في محاوراتنا فعلا من أفعالنا اضطراريا أو إجباريا إذا قارن أعذارا اجتماعية غير ملزمة بحسب الحقيقة كشارب الدخان يعتذر بالعادة، والنُّوُمَّةُ يعتذر بالكسل، والسارق أوالخائن يعتذر بالفقر.». إنتهى.

فإذا كانت المشاعر والأحاسيس مختلفة، وتتفاوت من فرد لآخر، فحينئذٍ ما أدرانا أن الحالة قد وصلت عند الصديق لدرجة تحركت عندها مشاعره وغرائزه وهو قد سيطر عليها وكبح جماحها بعد ذلك؟

مع اننا لو التفتنا إلى أنه كان نبياً، والأنبياء والمصطفون من خلقه على ما وصف الإمام الصادق عليه السلام من أن لله «معبرين، وهم الأَنبياء وصفوته من خلقه، حكماء، مؤدّبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس في أحوالهم، على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب.» التوحيد، الشيخ الصدوق قدس سره : 249.

فلاحظ قوله عليه السلام : «غير مشاركين للناس في أحوالهم، على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب.».

هذا أولاً.

الموقف اليوسفي كما نراه :

ونزيد على ذلك بقولنا إنَّ مشاعره ربما تحركت بصورة عكسية جداً عمَّا أفاده لأن الجو الذي أحدثته المرأة كان جو فسق وفجور وخيانة، والمؤمن يتقلص قلبه من الفسق والفجور ومن الخيانة، خاصة في حال شعوره أنه سيخون من ائتمنه، والمؤمن لا يكذب ولا يخون الأمانة.

فمن هنا لو لاحظنا الموقف اليوسفي لرأيناه بشكل آخر وبصورة أخرى، ولرأينا عوامل الإنفعال الآخر أكثر تأثيراً على يوسف الصديق.

فحينئذٍ نسأل بدورنا :

إذا كانت عوامل الإنفعال والغضب شديدة،

وأسباب الغيض كثيرة :

من عصيان الله،

إلى الإستهتار بالقيم والمبادئ السماوية والعرفية،

إلى الخيانة الزوجية،

وصولاً إلى الزنا وهو من أشدِّ الموبقات في ديوان الأنبياء،

مروراً بخيانة الأمانة،

ومجابهة الإحسان بالإساءة،

وإرادة إكراه المؤمن لعمل القبيح،

وكل واحدة من هذه بحد ذاتها موبقة وكبيـرة خاصة في قاموس الأولياء والأصفياء، فضلاً مـن ان بعضها كذلك حتى عند أبسـط المؤمنين، فكل هذه عوامل تستدعي الحدة والشدة في ذات الله، ولذا سيكون الموقف اليوسفي تبعاً لهذه العوامل وهي مجتمعة :

غضباً وشـدةً وغلظةً، أراد يوسـف أن يترجمها للضرب بقسوة إن أرادت تحقيق العصيـان، وهمَّ بذلك فعلاً لولا رؤيته للبرهان، ليندفع عنه السـوء كما دفع الله عنه الفاحشة.

فنحن نتصور الموقف اليوسفي كان بهذه الصورة، كما هو احتمالنا الثاني فانتظر، لا أن يوسفاً :

وهوالمحصَّن بإخلاص الله

والإصطفاء،

والعلم والحكمة،

والإحسـان، كان من الميوعة بحيث انه أراد أن يقع في براثن الشهوة وفي حضن إبليس ولكنه امتنع فنجا في آخر لحظة.

لِأَنَّهُ كان أقرب حينئذٍ للشـَّدة والإضطراب، لا للشـهوة والإنسياب كما تصور ذلك الكاتب المصري سيد قطب في ظلاله أوغيره في غيره.

فلاحِظ بدقة، واحكم بالحق ولا تشـــطط، ونحن نسير على منهاج وخطى مَن التزم بهذا الإشكال وهيَّجه.

وإلا فللحديث زاوية أخرى لا نحب التعرض لها الآن، وربما سيكون لها وقت آخر.

الإحتمال الثاني لِما هَمَّ به يوسف :

بناءاً على ما رسمته الكلمات القرانية فهي همت بارتكاب المعصية، وهو همَّ أن يدافع عن نفســه ويدفعها عنه، فهم بها أن يزيحها عن طريقه ولو بالقتل، لما داخله من أمر عظيم، ولكن بعد هذا الهم رأى البرهان فامتنع أن يجسِّــد ما همَّ به خارجاً، وانصرف عنها راكضاً نحو الباب.

وهذا الوجه يُرضي هؤلاء الذين يصرون أنــه لا يجوز تقديم جواب لولا مطلقا، لِأنَّ جواب لولا حينئــذ هو دفعها العملي عنه بأيِّ وســيلة تخطر على البال في ذلــك الوقت الحرج، فالهمُّ قد حصل، ولكــن متعلَّق الهمِّ لم يحصل خارجاً وفعلاً.

وليُلْتَفَتْ من أن همها حينئذٍ كان هو المعصية، وهمه كان دفعها عن نفســه الشــريفة فكلا الهمين قد حصل، ولكن متعَّلقا الهمين لــم يحصلا، فالمعصية الكبرى لم تحصــل لِما وقع في ذلك اليوم، وهو ما شــرحه البيان القراني بأتم صورة وأجلاها، وهمه كذلك لــم يحصل لوقوع البرهان ورؤيــة الصدِّيق له، فلاحِظ.

فبعد أن هيأت له كل شــئ وغلَّقــت الأبواب ونبهته إلى هــذا كله بقولها «هيت لك» شــاهدت عدم إذعانه، فانتقلت إلى المرحلــة العملية دون التهيئة والقول، فأتــت إليه وهمَّت به، أي همَّت أن تأخذه بين يديها، وما أشــبه ذلك، وهذا الذي نقول ليس هوأمر تبرعي بل يظهر مما سبق وما لحق.

ومنه يظهر ما في السؤال الأول وجوابه الذي طرحه العلاّمة المحقّق الشيخ جعفر السبحاني في كتابه (عصمة الأَنبياء في القرآن الكريم) حيث قال :

«الســوَال الأوّل: إنّ تفســير الهمّ الوارد في الآية في كلا الجانبين بالعزم على المعصيــة، تكرار لما جاء في الآية المتقدمة بصــورة واضحة وهي قوله :

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ ومع هذا البيان الواضح لا وجه لتكراره ثانياً بقوله : ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ خصوصاً في همّها بــه إذ ورد في الآية المتقدمة بصــورة واضحة أعنى قوله : ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾.

والجــواب : انّ الدافع إلى التكرار ليس هو لاِفادة نفســه مــرة ثانية، بل الدافع هو بيان كيفية نجاة يوســف من هذه الغائلة، ولأجل ذلك عاد إلى نفس الموضوع مجدّداً ليذكر مصير القصة ونهايتها، وهذا نظير ما إذا حدّث أحد عن تنازع شخصين وإضرار أحدهما بالآخر، واستعداده للدفاع عن نفسه، فإذا أفاد ذلك ثم أراد أن يشــير إلى نتيجة ذلك العراك يعود ثانيــةً إلى بيان أصل التنازع حتى يبين مصيره ونهايته والآيتان من هذا القبيل.» ص 146.

بل كما عرفت من أن هذا الأخير ليس الأول بل هوتكملة للقصة.

وعندما أحسَّ منها تَجَسُّدَ همَّها خارجاً، وقد أقبلت إليه تزفُّ، وأنها اقتربت منه فعلا، أراد أن يدافع عن نفســه ويدفع السوء المتوجه إليه منها، ويبعدها عنه بأي كيفيــة، فَهَمَّ بها، وصمم وعــزم في قلبه، على ضربها لإبعادها عن نفســه الشــريفة، وقبل أن يتحول العزم إلى فعل خارجي رأى برهان ربه، فلم يتحول هذا العــزم لفعل، بل انصرف عنه، وهرب ليتخلص مــن الموقف كله، كما هو ظاهر الكلمات القرآنية، والدليل عليــه أي أن همها غير همه هو وجود فعلين، فلو كان واحدا لكان واحداً، فانتبه.

﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ الذي سيلحقه بالضرب أوالقتل فيُتوَهم فيه أنه أراد أن يعتدي عليها فامتنعت فضربها أوقتلها، فإننا نرى أنه ما فعل شيئاً والمرأة قد اتهمته بأنه أراد بها ســوءاً، ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ المتولد من الظلم الذي هو هنا الزنا، وقد أكد ذلك الباري بقوله ختاماً لهذا المقطع الحساس جداً ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾.

وبهذا اكتملت الصورة وعرفنا ما كانت عزيمة يوسف.

وبه ما احتجنا لكل تلك التأويلات والتخرصات.

مع العلم أن ذلك مطابق لما قدمناه من براءة يوسف وطهارته الكلية التي بيَّنها الله تعالى بكتابه كما رأينا ذلك في كل آية تعرضت لتلك الواقعة ودلَّت على طهارته ونزاهته، بالإضافة إلى الأدلة الخارجية الكثيرة التي تبين عصمة الأنبياء، فتدبر واغتنم.

فبما ورد من تحليل للأمر نتمُّ الصورة :

إذ عندما أقبلت عليه المرأة ولهى داخَلَهُ أمر عظيم منها، فعزم على ضربها ضرباً شديداً، بل صمم على قتلها لو وصلت إليه وتوقف دفعها على ذلك، ولكنه رأى برهان ربه أياً كان هذا البرهان، فانصرف ذهنه عن ذلك وتوجه للهرب.

وهرب فعلاً، ولأنها كانت قد اقتربت منه كثيراً في هذه اللحظات الثقيلة والحرجة استطاعت يدها أن تصل إلى قميصه من الخلف، لأنها كانت تركض ورائه، فأرادت أن تسحبه إليها وهو لا زال هارباً منها، فعملية سحبها له من القميص وهو في حالة الإندفاع للخروج من ذاك المكان، حصل شدٌّ من الطرفين قدَّ القميص، وفي تلك اللحظة ألفيا سيدها لدى الباب..... وأنت تعرف بقية القصة.

هذا هو مختارنا لواقع ما حصل ذلك اليوم.

لأننا نقول بالإضافة لما مر لو كان العزمان واحداً لما كرر الفعل، فتكراره دليل على اختلاف متعلقه، فهو عزم على شئ وهي على شئ آخر.

وعجبي من ذلك القسم الذي ادعى أن هذا لا يصح، وما التفت بأن قوله لا يصح، لأن الفعل قد تكرر، وبذلك أصبح لدينا جملتان لا علاقة لأحدهما بالأخرى من جهة الفعل والفاعل والمتعلق.

نعم لو كان واحداً لكانت قرينة قوية على ما ادعوا، إلا إذا جاء أمر صارف.

وكل هذا البيان قد توصلنا إليه ببركة كلمات آل البيت عليهم السلام، ولا يمنع منه مانع عقلي ولا نقلي، بل يثبتانه النقل والعقل كلاهما.

خاصة وظاهر اللفظ يُساعد على ذلك، ويُفَسَّر القرآن بصورة متناسقة، مع علو شأن المعصوم، وقربه من الله تعالى.

ولا يضطرنا عدم ذلك للبحث عن تلك الخيالات الفاسـدة، وبالنقل غير المسـؤول عمّن سـبق من دون التمحص والتفحص فيه لأنَّ السلف قد قاله، وذهب إليه.

والحمد لله ربِّ العالمِين.

ثبتنا اللـه على القول الثابـت والعمل الصالح في الدنيـا والآخِرة، ببركة الصلاة على محمدٍ وآل محمدٍ، والسير في نور الثقلين، نورهم ونور القران، لا السير بالكشف في الضلال أوالظلال.

محمد حسين الأنصاري

سدني / أستراليا

1426هج / 2005 م

الفهرس

مقدمة 17

تمهيد 19

الفصل الأول 25

الآية الأولى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾. سورة يوسف: الآية 22 27

الآية الثانية: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ سورة يوسف: الآية 23 30

ولهذا نقول إن المقصود من ربي هنا هو رب العالمين 34

باقي الآيات المباركة المتعرضة لأحسن القصص التي تنقل تفاصيل الواقعة 38

الفصل الثاني 47

الآية الثالثة : ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ سورة يوسف: الآية 24 49

القسم الأول :

ماذا قال المفسرون لكتاب الله تعالى في معناه ؟ 51

القسم الثاني :

الكلمة في استعمالات أهل البيت عليهم السلام 77

القسم الثالث :

معنى الكلمة لغوياً 79

المرحلة الأولى للفعل (همَّ) : 79

وقد تتبع معنى الكلمة قبل كل هذا وذاك سيد اللغة العربية والمحنك فيها علم الهدى 83

المرحلة الثانية : 86

القسم الرابع :

الكلام حول (لولا) 89

القسم الخامس :

البرهان في كلمات آل البيت عليهم السلام : 91

الفصل الثالث :

زبدة المقال فيما يظهر من الكتاب والأخبار 93

القسم الأول :

ألأدلة على براءة يوسف 95

القسم الثاني من الفصل الثالث :

إمرءاة العزيز وهمها 101

الفصل الرابع 103

القول الفصل

القسم الأول:

متعلق همِّ يوسف في كلمات أهل البيت عليهم السلام 105

القسم الثاني من الفصل الرابع

مناقشة أخيرة لأضعف الأقوال 107

الخاتمة :

إحتمالات ما وقع ذلك اليوم 109

«وهمَّ بها» : يحتمل هنا إحتمالان لا شطط فيهما ولا زيغ : 110

الموقف اليوسفي : 111

وفيه 112

الموقف اليوسفي كما نراه : 117

الإحتمال الثاني لِما هَمَّ به يوسف : 119

الفهرس 123

المؤلف في سطور :

أول حضور له في البحث الخارج كان في بحث آية الله العظمى الشـيخ بشير النجفي،

وآية الله الشهيد السـعيد الحاج السيد عبد الصاحب الحكيم نجل آية الله العظمى المرجع الديني الأعلى للطائفة المحقَّة السيد محسن الحكيم قدس الله نفسيهما الطاهرتين.

ثم حضـر ابحاث آية الله العظمى زعيم الطائفة وأسـتاذ أسـاتذة الحوزة العلمية الحاج السيد أبوالقاسم الخوئي (ره) بحدود خمس سنوات متتالية؛

في اثناء ذلك تشرف بحضور أبحاث آية الله العظمى الشهيد السعيد الشيخ الميرزا علي الغروي (ره) صاحب كتاب التنقيح،

وآية الله العظمى الحاج الشـيخ محمد إسـحق الفيـاض صاحب كتاب محاضرات في اصول الفقه ؛

كما انه قد استفاد من عطائات وتوجيهات كل من :

آية الله العظمى الحاج السيد عبد الأعلى السبزواري (ره)،

وآية الله العظمى الحاج الشـيخ محمد أمين زين الدين (ره) ؛ كما انه قد حضر الابحاث الاخيرة للشهيد السعيد آية الله العظمى الحاج السيد محمد باقر

الصدر(ره) في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم في مسجد الشيخ الطوسي.

وأما في عش آل محمد (صلى الله عليهم أجمعين) بعد هجرته إليها عام 1991م لتعقد الظروف في وطنه الام، فقد استقر في بحث آية الله العظمى الحاج الشيخ أحمد سبط الشيخ الأنصاري (ره).

وقد حصل على إجازات إجتهاد من بعضهم، وله إجازات بالرواية، وأخر بالتصدي للأمور الحسبية من عددٍ آخر.

قّدّس الله أرواح الماضين منهم وحفظ الباقين، ومتعنا بطول بقائهم.

له مؤلفات عدَّة منها:

1 – في التفسير الموضوعي للقران الكريم .

2 – الامامة والحكومة في الاسلام.

3 – العصمة.

4 – لمسات الشيخ المفيد على سنن التاريخ .

وكانت من احسن البحوث المقدمة لمؤتمر الشيخ المفيد قدس سره المنعقد في قم المقدسة سنة 1413 هج.

5 – المكاسب المحرمة توضيح لما ذهب اليه الشيخ الاعظم في بيان مدلولها.

وعلى ما صرح به بعض ذوي الخبرة من المجتهدين والمطلعين على هذا الفن من انه على اختصاره كان من أروع الابحاث المقدمة لمؤتمر الشيخ الانصاري، المنعقد في قم المقدسة عام 1415هج. لأنَّ فيه نكتاً لطيفة وجديدة لم يُلتفت اليها.

6 – جذوة مقتبسة من حياة المرجع الكبير آية الله العظمى السيد عبد الاعلى الموسوي السبزواري(قد.) وقد نُشر بمناسبة الاربعين لوفاته في مدينة قم المقدسة.

7 – زوارق النجاة ومرفأ الاهلة / ديوان شعر.

8 – رسالة في الوضع، وبالخصوص وضع اللغة العربية.

9 – قصائد في الحسين.

10 – ديوان شعري كبير.

11 – كتابات فكرية وعقائدية في مختلف الابواب.

12 – حول نهضة الحسين عليه السلام.

13 – اسباب الانتكاسة الميدانية لثورة شعبان المباركة سنة 1991م.

14 – تعليقات مهمة في علم الرجال.

15 – كتاباته لبحوث الخارج الفقهية منها والاصولية التي استفادها من الاعلام.

16 – رسالة في إثبات إمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، (بحث روائي).

17 – المعايير العلمية لنقد الحديث: وهو رسالة مقارنة يستعرض فيها سريعا الموازيين عند العامة في الصحاح الستة وعند الخاصة في الكتب الاربعة.

18 – رسالة في الإستنساخ.

يمكن الإطلاع على بعض كتاباته، وأشعاره، وإجازاته، وما يقوم به حالياً بالرجوع إلى الصفحة الألكترونية على الأنترنيت:

(www.alansaree.org).